# في مستقبل الثقافة الحديثة

مما يزعج الظامىء الى الثقافة العامة الحديثة في هذا الجيل ، ان جبهة هذه الثقافة تتسع اتساعا هائلا سريعا لا يستطيع العقل ان يسايره ، ولا العمر فاذا لم يتدرج اتساع جبهة الثقافة في سرعة محدودة ، ليس من الخير ان يفعل ، واذا لم تهدأ سرعة هذا الاتساع ، وليس من الخير ان تفعل ، فان المشكلة الناتجة من اتساع جبهة الثقافة الحديثة واقعة لا محالة !

لقد اخذنا نحس منذ زمن ان الثقافة العامة التي اذنت بشخصية تاريخية مثل شخصية الجاحظ مثلا لن تأذن بمثل هذا اليوم ، فجبهةالثقافة الحديثة كما قلنا قد اتسعت ، وفروع المعرفة قد ازدادت ، وحقائقها تنتشر كل يوم وتتعدد ، حتى لا سبيل الى ان تلم من كل علم بطرف ، او ان تتخصص اي نوع من التخصص لهصلة كافية بفروع المعرفة الاخرى .

وقد نشأت المشكلة من سرعة التطورالعلمي الحديث، اذ بعد الاخذ بالطريقة العلميةالحديثة منذ اوائل القرن التاسع عشر وقع من التقدم خلال المائة والخمسين سنة الاخيرة ما يزيد اضعافا مضاعفة على التقدم الذي وقع منذ فجر التاريخ ـ خمسة الاف او عشرة الاف سنة ! وهذه الطريقة العلمية تسيطر على اساليب العلماء والناس سيطرة لا يبدو من مستقبلها الا الاطراد والازدهار ، ومن نتائجها الا الزيادة والسرعة ـ ومن هنا بذور « المشكلة » !

وفى الوقت نفسه تدرك الثقافة ، او يدرك الانسان الذي يوجه الثقافة ، ان خير الانسان وما حوله ، وخير البشرية ، جزء لا يتجزأ مما يتحتم ان تهدف له الثقافة الحديثة ، ايا كان مصدرها . لهذا كان من العسير ، بل المستحيل، ان ينصرف العلماء والمثقفون، كل الى زاويته، يعب لنفسه من نتائج التطور العلمي والفني الحديثين ، دون احتفال بما يجري حوله ، او انتباه الى صالح البشر . اي اننا لا نحتمل تجزئة المعرفة الى فروع من التخصص لا يدري المتخصص فى فرع بما يدور فى الفروع الاخرى ، ولو احتملنا ذلك ـ ولن نستطيع ـ لادى الى شيء كبير من الانحلال الثقافي .

فماذا اذن ؟

مشكلة ثقافية طريفة نشير اليها ولا نعنى بحلها منذ الان .

فان يحل نمو الثقافة الحديثة الا ارتفاع فى مستوى الذكاء البشري ، الى حد يساير هذا النمو الهائل الذي فتحت ابوابه الطريقةالعلمية، والا طول العمر الى مدى كبير يستطيع معه الظامىء الى الثقافة العامة الحديثة ان يساير اتساع الجبهة الثقافية .

والواقع ان مستوى الذكاء البشري يرتفع، ومعدل العمر الانساني يزداد . فبدل ان يجمع المثقف فى ذهنه ايام حضارة اليونان او العرب مثلا مجموعة محدودة من حقائق المعرفة، مضافة الى مجموعة غير محدودة من اخلاط الخرافة ، فيعيش بهما ثلاثين سنة الى اربعين لا تزيد ، اصبح العالم الحديث اليوم يستوعب طائفة اكبر من حقائق العلم ، اختصاصا كان او ثقافة عامة ، او كليهما معا ، ويعيش مدى اطول قد لا يقل معدله فى البلاد الراقية عن سبعين سنة .

ولكن هذا وذاك لا يفيان بمعالجة التطور الثقافي الحديث بسرعته. فهل يقف هذا التطور عند حد استيعاب الانسان بما لديه من قدر محدود من الذكاء وطول العمر ؟ لا بد من ذلك ! ولكن الى اي حد تجري سرعتا نمو الذكاء وزيادة العمر ؟

سؤال لا نثق من الجواب عنه الان ، فان التطورة العلمي يلد كل يوم عجيبة .

على ان هذا كله يجب ان لا يؤثر على القاعدة الذهبية فى التزود من الثقافة، وهي التخصص فى جانب من المعرفة ، ينسجم مع الميل الفطري للانسان ، والامتداد الى ما حوله من حقول المعرفة بالقدر اللازم لاحداث التوازن الثقافي والادراك الضروري للمشاكل الوطنية والانسانية .

عمان — **محمد اديب العامري**

# نجيب العقيقي في ادبه وسيرته

بقلم وداد سكاكيني

كانت الاعوام التي عشتها على ضفاف النيل حافلة بالصور والذكريات سعيدة بما رافق كفاحها من تمرس بشئون الادب والحياة .

ولقد داعبت خواطري في تلك الاعوام كلمة الادب الحي فحاورت نفسي في معناها أكانت تنصب على الروائع الخالدة من آثار الشعراء والكتاب والفنيين الموهوبين ، فاذا مضى بهم الزمن بقوا عائشين فيها فكانت لهم العمر الثاني الذي عناه المتنبي وشوقي ، ام ان كلمة الادب الحي تنسكب على اصحابها الاحياء؟ فيغيم على خاطري ان يمضي هؤلاء واحدا بعد واحد متساقطين كاوراق الخريف .

كنت اذا جمعتني سانحة باديب من الذين تقدمت بهم السنون كخليل مطران ونقولا حداد احس اني اراجع صفحات حية من تاريخنا القريب في امثال هؤلاء الذين اغتربوا فتيانا مكافحين ، ومهدوا منذ عهد بعيد للتلاقي العربي، على ضفاف النيل وقد حملوا تراث العربية في الشعر والنثر مضيفين اليه صحفا باقية على الزمان ، وكانوا هم انفسهم كتبا مسموعة الى جانب ما كتبوا من مؤلفات وسطور لا تبلى ، وربما عطف بعضهم على الذكرى في الاماسي والحقول فحنوا على ربوع الغوطة والفيحاء او تمثلوا مراتع الطفولة والصبا في الجبل الملهم بغرر من القصيد حتى غالبوا الشوق واللهفة بما كانوا فيه من نعمة وحفاوة ومكانة مرموقة .

اما الشباب من الوافدين فكان لهم اسوة بمن سبقوهم من ديار الشام ولبنان الى ارض النيل ، وطالما كانت هذه الارض الخيرة الوفية ملتقى احرار العروبة وادبائها ، في حماها يلقون الطمأنينة والعيش الرخي ، وفي داراتها ومحافلها يتنادون لمتابعة الكفاح والتحصيل بعد ان ضاق بهم الحكم الغاشم في بلادهم وقد اندمج اكثرهم في الحياة المصرية على اختلاف مرافقها وآفاقها ، وشاركوا بكفاياتهم ومواهبهم ، فوطدت لهم ضفاف النيل جانبيها ولم يجدوا فيهما المشقة والغربة اللتين وجدوهما في وطن ضاق على نبوغهم او طموحهم .

فمن نخبة هؤلاء الذين انطلقوا من لبنان فتية ثائرين ايام الاحتلال كان الاستاذ نجيب العقيقي الذي انبته جبل الالهام والعبقريات قبل اربعين عاما فاطلت طفولته الذكية على ملاعب الطبيعة الفاتنة حيث احتشدت غابات من الصنوبر تلاصقت فيها اشجارها الخضراء كصفوف المظلات المفتوحة ، ومن على مشارفها يمتد النظر الى شواطيء البحر الابيض .

في هذا الريف الوارف الظلال الهاديء الجمال كانت نشأة العقيقي نجيب ، وفي مدارسه تلقى حروف العربية وصفحاتها الاولى عن معلميه الذين نذروا العمر للكلمة والمحبة ، وربما كان فيهم من تعلم تحت السنديانة او بازاء الهيكل فدخل حب اللغة قلب الناشيء المتفتح مبكرا عميقا .

وفي بيروت لم يرتو هذا القلب الظاميء للمعرفة والحقيقة، اذ كان العقيقي الطالب الموهوب مرجوا لان يكون شاعرا كما بدات تجارب لداته في المدرسة تنظم الكلمات مرصوصة الاوزان جوفاء الصور او مضعضعة البناء ، لكن الشعر يشع في معانيها ، اما نجيب وان ناغته ربة الشعر من عالمها الاولمبي الحديث في موطنه الاول فانه اخذ منها هدوء التأمل والهام البصيرة وانصرف الى النثر الذي غلب على طبعه وبيانه ، فكتب على الحداثة المقالات الادبية واعجب بها معلموه ، ولم يقنع بما تلقى من معهده من ثقافة لغوية وفكرية وكانت زادا ضخما حماه وعيه المبكر وادبه الموهوب .

ولما اتقن اللغتين السائدتين اخذ يكتب فيهما كما يكتب الادباء المتمرسون ، جامعا بين التدريس والصحافة وهما موردا كل اديب في الشرق والغرب .

ودار العقيقي في هذا المجال اعواما من شبابه المتوثب لم يستطع فيها ان يقنع طموحه بما يرجو في حياته وكفاحه ، ولم يمسك به ما لقيت بواكير قلمه من ضجة وتقدير ، فآثر الانطلاق الى ضفاف النيل حيث يعيش فريق من ذويه وكانت دار الكنانة اقرب اليه واحب من ديار الهجرة في الامريكتين ، مما ترامى عليهما من قومه الذين انشأوا الادب العربي المعاصر وراء البحار .

وما اكثر الذين بادروا مثل العقيقي الى ارض النيل وحطوا همومهم عليها فلما ضمته القاهرة الى قلبها الكبير وعاش في محبتها والايمان برسالتها ، لم يفته تصوير هذه الاطوار التي اعترت المهاجرين حين يدخلون مصر حيارى بما يشهدون في المدينة الساحرة ، فكانت « برج بابل » (نشرتها دار المعارف بالقاهرة) صورا لهذه المغامرة الظافرة فيها همسات الاغراء قبل الرحيل ونظرات الفراق فيمن كانوا يطمعون على بعد الزمان والمكان في حياة افضل ورزق اوسع ، على انهم قبل ان يعرفوا الطائرة كان البحر سبيلهم ثم القطار الذي يلقيهم عند «باب الحديد» للمدينة الكبرى، فيبهتهم خلق كثير وكأنهم في خفوق وازدحام ، فالميدان مترامي الاطراف وقد وصفه العقيقي بقصة « برج بابل » وكيف كانت البنايات المتراصة والمرتفعة تعقد السنة القادمين من بعيد ممن لم يكونوا قد رأوا مثله في بلادهم .

ومن هذا المكان قبل الطائرة كان يدلف المغامرون الى اقرب حي يقيم فيه الذين سبقوهم اليه وهو الفجالة حيث تجمعت ارياف ومدن وتلاقت عصور واجيال وتمازجت

عناصر ولهجات ومنذ القديم يعج هذا السوق ببضاعة الافكار والسطور ، ففيه دور نشر وطباعة ومعاهد تربية وثقافة .

احب العقيقي الذي فارق بيروت اديباومعلما هذا الحي القديم الذي كان يهبطه القادم من بلاده ويعيش فيه زمنا تاجرا او صحافيا او ناشرا للكتب ، ثم يغادره بعد حين الى حي من احياء الميسورين ، اما العقيقي فقد اقام بالفجالة مدة حيث وجد باب الرزق مفتحا له فى ارقى معاهد اليسوعيين ، فعاد فى القاهرة الى التدريس وقد صدق فيه هذا القول : وكم هارب مما اليه يؤول ، لكن الحاجة الى كفايته وتمرسه الطويل بقضايا الفكر والعروبة ضمته الى الجامعة العربية حيث يقوم بتبعات ثقافية ومشورة فنيةلا تتجافى عن مزاجه واختصاصه وانما تجعله دوما مرتبطا بشؤون الفكر العالمي ، راصدا وجهته فى آفاق العالم العربي، فالعقيقي بطبيعته وحكم وظيفته ملتصق بالحياة الادبية التي ترده الى اوراقه وتطالبه بالظهور فى موضوعات اخذ نفسه بها فتاره تكون قصة وتارة تخرج من بين يديه دراسة ادبية مبتكرة ، ولو شاء الكثره فيها لجاءت كفيرها مما نرى فى الموضوعات الواحدة دراسات مكروورة مملولة .

ولعل اول قصة ظهرت للعقيقي القصصي كانت تحت عنوان «تجفيف المستنقعات» ثم اتبعها بكتابه الذي اثار ظهوره المبكر وافكاره الجريئة اهتمام النقاد والمثقفين وهو « المستشرقون ».

والواقع ان هذا الموضوع الخطير كان فاتحة رائعة فى تدارس الاستشراق واسبابه ومذاهبه والنفوذ الى نفوس اعلامه والهائمين فيهمن المتعربين والمهتمين ، فكابد العقيقي فى تاليفه هذا مصاعب ضخمة اذ فتح فيه فتحا جديدا لم يسبقه اليه مؤلف ، فقدم لادبنا الحديث مجهودا بعيد الاثر قريب الفائدة وكان من السباقين الى خدمة الدراسة الجامعية والمنهجية بما جمع من اشتات المصادر والمراجع التي افادت الادباء واساتذة الادب فوقفواعلى آراءالمستشرقين فى هذا الموضوع وما وصلوا اليه من تراثنا فى المخطوطات والذخائر الفكرية التي عاشوا من اجلها منقبين باحثين .

لمصلحة الذين يسعون اليها او يؤلفون من اجلها لكنه آثر ولو شاء هذا المؤلف البحاثة ان يحوز اضخم الالقاب الجامعية لكان بوسعه هذا وهو يزجي الكتاب تلو الكتاب ممحصا باحثا وناقدا موضوعيا لما وقع فيه هؤلاء المولعون المستشرقين مآرب المستعمرين .

على ان العقيقي مؤلف «المستشرقون» كان فى كتابه هدا بالتراث العربي من خطأ وانحراف اذ غلبت على بعض الحرية فى تاليفه وثقافته ، وقد اتيح له انيتعمق فى دراساته الفنية فعكف طويلا على علم الجمال وكان هذا العلم رائد الاذواق المصقولة ، فخرج العقيقي من مطالعاته ومراسه فى هذا الموضوع بكتابه « فى الادب المقارن » وكان من اسبق الدراسات الجامعية فى ادبنا الحديث .

وكم يعوزنا فى هذا الادب ان نمد الاعين والايدي الى روائع الاداب العالمية شرقية وغربية لنجد فيها التشابه والتطابق فى مطالع الفن والابداع بينها وبين امثالها فى ادبنا القديم والجديد ، وبهذه الدراسة المقارنة نستطيع ان ندل على عبقرية لغتنا وعالمية ادبها اذ لا يتاح لمباهجه وروائعه ان يظهر رونقها وفتونها الا اذا قورنت بنظائرها فى الاداب الاخرى .

فاذا عاد العقيقي الاديب الى موهبته ومنازعه الاولى كتب على سجيته القصة التي احبها منذ صباه واتقن صنعها بما اوتى من فنها وخصائصها ، وكانت اخر آثاره فيها « ارض الله » فشارك فى ادب الثورة بهذه القصة الفنية الطويلة التي حلل فيها نفوس الفلاحين والاقطاعيين وكيف قامت الثورة لتمحو الطغيان وتبني للحياة الجديدة عدالة اجتماعية ووعيا قوميا حديثا ، والعقيقي فى قصصه ذو طابعين واحد يتناول الشكل والطراز ويعني بلغة االتعبير وحواره ، والاخر يتناول الموضوع والمحتوى وهو لا يطفو على السطح وانما يلتمس الاعماق ويأنس بالتحليلالنفسي وقد يكون نفسه فيه طويلا .

فالعقيقي الاديب الموهوب يعمل للادب الحديث بصمت وهدوء على سمته المعهود متجافيا عن الشهرة والادب التجاري الذي اغتنى منه الكثير راضيا بما اغتنم من سمعة نقية وثقة عميقة فى حياتنا الادبية والاجتماعية ، فنفسه عامرة بالايمان والمروءةوروحه مشرقة مرحة كالطيورالبيض التي ترف عند العشيات فوقالنيل ، ساريات الىاعشاشها البعيدة ، على ان مرد هذه النفس الكبيرة الى منبتها الذي غذى فيها اصالة العروبة وطبعها على التقوى ، فصانت كرامته وطموحه وزودته بقلب وسع الحياة كما هي ، فاذا طاب لي الادب المقارن الذي ابدع فيه الاستاذ العقيقي قلت ان ادبه وسيرته نسمات ندايا عابقة بتفاح لبنان تهب على الضفاف الخضر التي يتمرى فوقها النخيل على صفحات النيل .

دمشق

**وداد سكاكيني**

# هيكل بعلبك

من ديوان « الوفاء » الذي يصدر قريبا

مزيج من الفن : من « كرنك » ... وروما وفينيقيا والعرب
« كتدمر » اذ شادها مارد ... من الجن في ما روته الكتب
بناه « آرام » لبعل . ومصر ... لشمس . وروما لبنت العنب
تباري « وكرناك » في حسنه ... فما فاز هذا ولا ذا غلب
ونازعه الارز في خلده ... وهذا « لبعل » وذاك لرب
فهدم « تيمور » اركانه ... وما برح الارز فوق الشهب

الا لهف قلبي على هيكل ... سداه الجمال وفن عجب
له ذكريات السنين الخوالي ... وذكرى « خليل » وعمر ذهب
اطل عطوفا على الواديين ... بتحنان ام رؤوم واب
يضم اليه بقاع العزيز ... كصب مشوق تلاقى بصب
تداعبه الشمس عند الصباح ... ويبكي سناها اذا ما غرب
فاعمدة من نحيت البلنط (١) ... كؤوس واطواقها من حبب
تكاد تطول حجاب السماء ... وترقى اليها بغير سبب (٢)
عذارى «تنيت»(٣) جلون صفاها ... بشعر لهن وكف خضب
وعشاقها صبغوا لونها ... بصبغ الخدود وقوس السحب(٤)
كأن الحبيبات في جيدها ... بلونيهما فستق من حلب
وقصوا حجارتها بالقصص ... كأن حجارتها من يلب(٥)
برود تطرزها ناسجات ... بخيط الحرير وماء الذهب
تخال الرسوم لاتقانها ... حقائق ان شوهدت من كثب
يشير البعيد اليها بطرف ... ويلقي السلام اذا ما اقترب
لقد طبع الفن في وجهها ... جمال القوافي بعرس الادب

لبعل وللشمس كان العباد ... يلوذون في ضيقهم والحرب
يؤدون ما ادخروا : عرضهم ... واموالهم لاله الكذب
ولما استحال الى معبد ... « لباكوس » رب الخمور الطرب
أقاموا السراديب للثاملين ... وللثاملات بخمر وحب
وفيها اراقوا الدماء اعتباطا ... « لمولوخ »(٦) صيدا كبحر لحب
وكهانها ينذرون الورى ... اذا بخلوا بشديد الغضب
لقد ألهوا الشمس بعد «تنيت» ... وعشق الرذيلة بعد الطرب
ولو خصصوه لباري الوجود ... لظل مشيدا طوال الحقب

---

(١) البلنط : حجر كالرخام الا انه اشد صلابة . (٢) السبب ، هنا : الحبل . (٣) تنيت او تانيت : هي الزهرة او عشتاروت معبودة الفينيقيين. (٤) قوس السحب: هو الغمام الذي تنعكس فيه اشعة الشمس بمختلف الوآنها . (٥) اليلب : الجلد الذي كانت تصنع منه التروس. (٦) مولوخ : هو اقوى آلهة الفينيقيين واشدهم فتكا

القاهرة

بولس غانم




بقلم منيرة عبد الجواد دكروري




يقول الاستاذ مصطفى امين الصحفي الكبير فى حديث له «... ومعنى هذا ان فى حياة كل منا حرفا ضائعا عليه ان يبحث عنه ويستعيض عنه بغيره حتى يجده ، وكل واحد يعوض عن حرفه الضائع بغيره ، الاعمى يعوض بقوة السمع ، والغير محظوظ يعوض عن نقص حظه بالذكاء ، والغير ذكي يجتهد ليعوض نقص ذكائه ... » وتهزني هذه الفقرة الصغيرة واوغل معها فى التفكير . هل فى حياة كل انسان فعلا حرف ضائع ؟ وهل يحس كل شخص بحرفه الضائع او الناقص هذا ، واذا احس وقضى حياته فى البحث عنه ، هل سيجده حتما ، واذا وجده : كيف يكون تأثيره فى حياته ؟ هل سيرضيه ويريحه ، هل سيهدأ اليه ويفرح به ويهنأ ام يصل اليه بعد فوات الاوان ؟ وهل يمكن حقا الاستعاضة عن حرف بحرف ؟

وقبل ان يتجدد فى راسي جواب لاي من هذه الاسئلة تقفز الى ذهني صورة منيرفا نجيب اعز صديقاتي وترد على السؤال الاخير . ترد عليه بطريق غير مباشر . واتذكر احدى محاضرات النقد فى المعهد الذي كنا نواصل فيه دراستنا سويا بعد الجامعة . كان الاستاذ يناقش مبدأ الفن للفن والفن للحياة وايهما نحن فى حاجة اليه اكثر وايهما يمكن الاستغناء به عن الآخر اجابت منيرفا ان ليس فى الحياة ما يمكن الاستغناء به عن سواه وكل ما هناك ان شيئا ما يكون ضروريا فى بعض الاحيان او مهما وشيئا آخر يكون اقل اهمية او ضرورة منه فى ذلك الحين . اما ان يستعاض تماما بشيء ما عن شيء آخر فلا ، لانه لا شيء مطلقا يقوم مقام غيره : كل شيء لازم وضروري وان كانت طبيعة الحياة وظروفها المختلفة تزيد او تقلل من درجة لزومه او ضرورته من وقت لآخر ومن فرد لفرد .

ترى هل هذه هي الحقيقة فعلا ؟ اني بعد معرفتي الطويلة بها اميل الى اعتناق رايها هذا . ولقد كانت حياتها مصداقا لذلك الراي . فقد كانت منيرفا اجمل من رايت فى حياتي واذكى من عرفت اطلاقا . كان ذكاؤها ملفتا للنظر ومحل اعجاب وتقدير الجميع مدرسين ومدرسات وصديقات ومعارف . والى جانب الذكاء كانت نشيطة مجتهدة . لا تكل ولا تهدا . ولكن كان ينقص حياتها حرف هام جوهري اساسي ، كان ينقص حياتها الحظ . كان حظها سيئا جدا ، ويوم يتحسن ويقدم لها احدى ضرباته هو يوم ان تسير الامور معها سيرها الطبيعي العادي مع اي انسان غيرها ولذا عاشت منيرفا فى مأساة فقد كانت تعرف الحرف الذي ينقص حياتها وتحس بمدى الفراغ الذي تركه فى حياتها وحاولت الاستعاضة عنه وملء ما خلقه من فراغ بالجد والاجتهاد وعدم ترك أي شيء فى اعمالها للظروف او الحظ. ولكن الحظ كان دائما اقوى منها . يعرقل اعمالها ويشقيها فتغرق نفسها فى مزيد من العمل والاجتهاد على وعسى ، ولا تخلد الى الحزن والالم . كانت شعلة من النشاط لا تهدأ ولا تكل ولا تعرف للراحة طعما . ان حرف الحظ يوم تخلى عنها اخذ معه حرفي الراحة والاطمئنان فكانت دائما قلقة مشغولة وراءها من المهام اكثر مما اتمت فخلف ذلك فى نفسها شيئا من المرارة وكسا نظراتها الى الحياة بسحابة من التشاؤم والحزن الكامنين وان كانت تحيطهما وتحاول اخفاءهما بروح مرحة وابتسامة دائمة وتجلي ذلك فى منظارها الوردي الاطار بينما لون زجاجه مشوب بزرقة خفيفة تخفى على من لا يمعن النظر الى لونه فيحسبه ابيض عديم اللون .

كانت منيرفا محرومة من الحظ ولكنها فى نفس الوقت كانت ( حاملة حظ ) اذا صح هذا التعبير قياسا على حامل ميكروب دون ان يكون مصابا بالمرض . كانت منيرفا مجلب حظ للجميع ممن لهم صلة بها . يتفاءلون بمقدمها ويستبشرون خيرا بها فيما يهمون به من اعمال بينما لم تكن ابدا مقدم خير لنفسها ولا طالع سعد لاعمالها ، وكانت تحرص على عدم الذهاب بنفسها لمعرفة نتيجة اي امتحان او شيء يتعلق بها وتتشاءم اذا اضطرتها الظروف يوما لرؤية النتيجة بنفسها . وفى اغلب الاحيان كان يتحقق ظنها وفى الاحوال التي يهادنها الحظ فيها كانت النتيجة تؤجل .

تخرجنا من الجامعة والتحقت كل واحدة من شلتنا بعمل الا هي ، ظلت تبحث وتطرق كل الابواب دون فائدة لمدة اربع سنوات كانت تلتقط فيها بقايا الحظ من على صفحات الجرائد . تنشر موضوعا فى هذه وقصة فى تلك وتترجم لثالثة . كل ذلك فى فترات متباعدة متقطعة دون ان تسنح لها الفرصة وتستقر فى عمل دائم ثابت. وكنت اواسيها فى بعض الاحيان واقول لها :

ــ اصبري . غدا تتعدل .

فتتمتم وتقول :

ــ اتعرفين ماذا بعد الصبر .

ــ الفرج باذن الله .

فتطلق ضحكة فيها من المرارة والالم والحسرة اكثر مما فيها من المرح وتقول :

ــ ابدا . . . ما بعد الصبر الاالقبر .

وبعد مساع ومشاق التحقت بعمل دون ما كنا نأمل لها ودون مؤهلها ولكنها رضيت به بل وفرحت ولكن لم يكد يمضي بعض الوقت حتى نقل والدها من القاهرة واصطحب معه والدتها واصبحت هي المسؤولة عن اخوتها الذين يصغرونها ومسؤولة عن البيت بالاضافة الى مشغولية العمل واعداد رسالتها لنيل درجتها العليا والترجمة والكتابة للصحف والمجلات والاذاعة . كنت اعجب لها ، كيف تستطيع القيام بكل هذا الجهد ؟ من اين لها بكل هذه القدرة على التحمل والمعاناة ؟.. لو انها آلة لاحتاجت الى فترة من التوقف تهدأ فيها حرارتها وتزيت عدتها ؟ لو انها آلة لاحتاجت لقطع غيار ؟ ولكن منيرفا لم تكن تهدأ او تسكن للراحة وقتاما. كانت شعلة من النشاط والحركة والمقدرة على العمل بدرجة تثير الدهشة والتساؤل .

وفى العمل التقت بالحب . احبت زميلها مفيد شاكر من اعماقها واحبها واحس كل منهما بضرورة الاخر له وحاجته اليه . وكنت ارى سعادتها فى حبها واحس بها فأسعد لها وادعو الله ان يديمها لها ولكنها كانت سعادة يشوبها شيء من القلق المبهم والخوف من المجهول . وعندما عرض عليها الزواج كادت تطير من الفرحة وتمنت ان تدوم لها هذه السعادة وان تطول تلك اللحظة وقبلت عرضه فى الحال واتفقا ان يتقدم الى والدها يطلبها منه فى اول حضور له الى القاهرة . وعاشت منيرفا اياما من السعادة ظنت معها ان الحظ هادنها وانها قد وجدت حرفها الضائع الى ان جاء والدها فاسرعت الى حبيبها تنبئه بقرب تحقيق حلمها وترد على اسئلته الخاصة بابيها ومهنته ومركزه ليبدو امام اهله انه يعرف كل شيء عن الاسرة فلا يضيع الوقت فى استفسار وسؤال وما كادت تذكر له اسم والدها بالكامل حتى احست به يتهاوى فى مقعده ووجهه يصفر ويصيبه دوار. وعرفت الحقيقة التي كان يدخرها لها الحظ. وادركت ان مخاوفها وقلقها لم يكونا سوى احساس صادق بما يخبئه لها القدر عرفت ان حبيبها مسيحي ، غره اسمها فظنها مسيحية وغرها اسمه فظنته مسلما .

هزتها الصدمة فلزمت الفراش مدة طويلة ما من مرة زرتها فيها وسألتها كيف حالك الا واجابت :

ــ ما زلت احيا . لا تخافي علي. لن اموت الا اذا ارتحت ، عمر الشقي بقي ، عندما ارتاح خافي علي، واعرفي ان ايامي انتهت .

ولم يكن مفيد اقل منها تأثرا وتألما فعمل على نقله الى مكان آخر ليساعدها على النسيان وتحمل الصدمة التي لم تكن تخطر لهما على بال ولم يعملا لها حسابا .

وعندما غادرت الفراش حاولت ان تغرق نفسها فى مزيد من الجهد والعمل علها تنسى . حاولت ان تستأنف انكبابها على العمل والكتابة والترجمة والدراسة ولكن قدرتها على التحمل لم تعد تساعدها ، لم تعد تلك الآلة التي لا تهدأ ولا تتوقف ، بل اصبحت انسانة اخرى سريعة التعب ضعيفة التحمل ، ادنى مجهود يرهقها وينال من صحتها وقلت قدرتها على النضال والمثابرة واصبحت تخلد الى الراحة والاستكانة ولم تعد تغرق نفسها فى العمل وتتحدى الحظ كما كانت واخذت ملامح وجهها تنبسط وتتراخى ونظراتها تستكين وتهدأ واختفى من عينيها ذلك البريق المشع الاخاذ المعبر عن الحيوية والاندفاع والتحدي والاصرار . اصبحت منيرفا شخصا آخر لا يهتم بالحياة ولا يتحداها بل يتركها تمضي على اي صورة كانت ومع ذلك فقد بدا انتاجها الادبي يلفت الانظار اليها ويفرض نفسه على النقاد والقراء ويلقى اهتماما من دور الصحف وترحيبا بل الحاحا فى طلبه وتحسن مركزها فى عملها وبدأت ظروفها المنزلية تتحسن واعباؤها المنزلية تقل خصوصا بعد ان تم نقل والدها الى القاهرة وتخرج اخوها من الجامعة والتحق بعمل طبيب فى القاهرة ولم يعد عليها من الالتزامات سوى التزاماتها نحو نفسها وانتاجها ورسالتها التي تعدها والتي كانت تسير فيها بخطى ثابتة منتظمة وان كانت وئيدة متأنية اصبح انتاجها وان لم يعد وفيرا يلاقي من النجاح والاقبال ما عوضها عن كل جهدها وتعبها الماضي فشعرت لاول مرة بعد نضال طويل ممعن وشقاء ظنته ابديا عليها ، شعرت بالراحة والاطمئنان وبالحظ يهادنها والحياة تقبل عليها ، وتقدم لخطبتها شاب مرموق لم تجد فيه ما يدعوها الى رفضه او ما يعيبه فقبلت خطبته ، وتجلى لها يوما بعد يوم من خصاله وطباعه ما شدها اليه وحببها فيه .

جاء يوم مناقشة رسالتها وكانت مناقشة ممتعة شيقة . كان الاساتذة فيها يشيدون بالرسالة ولا ينقدونها. يتسابقون فى اظهار ما بها من جهد وحسنات لشدة اعجابهم بها وتقديرهم لها، وأثارت الرسالة اهتمام الصحافة وشغلتها مدة طويلة واهتم المعهد بها وعدها فخرا له ولاساتذته فقرر زملاؤها اقامة حفل تكريم لها .

وبدت منيرفا فى الحفل سعيدة قريرة العين كما لم ارها طوال معرفتي بها ، خيل الي ساعتها انها طائر قضى جزءا كبيرا من حياته سجينا مهيض الجناح ثم وجد طريقه اخيرا الى الحرية والحياة الرحبة الفسيحة فانطلق يتغنى بالحياة والامل . واثناء الحفل قص احد الزملاء نادرة اثارت نوبة من الضحك لم تستطع منيرفا مغالبتها وكانت تشرب بعض الماء فشرقت به وقبل ان تنتهي نوبة الضحك او تتمكن منيرفا من شرب جرعة اخرى من الماء لتخفف شرقتها فاضت روحها وعيناها مغرورقتان بالدموع لا ادري اكانت دموع الضحك أم دموع الشرقة ...

**القاهرة    منيرة عبد الجواد دكروري**

# شبلي الملاط

بقلم نسيم نصر

ولد فى بعبدا سنة ١٨٧٨ .

تعلم فى مدرسة جبيل ثم فى مدرسة الحكمة ـ بيروت ـ

كتب فى «الروضة» لخليل باخوس ، وفى «الارز» لصاحبيها الشهيدين : فيليب وفريد الخازن ، وفى «النصير» لعبود ابـي راشـد .

سنة ١٩٠٨ انشأ جريدة « الوطن » ، ومن الجريـدة انتقل الى رئاسة القلم العربي فى متصرفية لبنان

بدأ التعليم فى مدرسة الطيب الذكر المطران غفريل ، ثم انتقل الى مدرسة المزار فى غزير ، ومنها الى مدرسـة الحكمة حيث علم البيان سبع سنوات .

غير ان الوظيفة ، بعد رئاسته القلم العربي فى متصرفية لبنان اصبحت عمله الدائم مع انصرافه الى نظم الشعر يملأ به فراغا فى ذاته ويشرف بقوافيه على جوانب من الحياة لا تتراءى له ولا تحلو الا من خلال الشعر . لذلك نقف عن الكلام على تقلبـه فى مراكز متعددة من اجهزة الادارة والشؤون الرسمية ... وعن اسهامه فى اعمال الصحافة لنقتصر على شبلي ملاط الشاعر .

انـا فلـذة صخريـة مقطوعة ... من ذلك الجبل الاشم الراقـي
انا جذع لبنان القديم فما ذوى ... ورقي ولا لوت الشدائد ساقي

هكذا عرف نفسه شبلي الملاط ، فى تحيته المغتربين ، وراق لناشر « ديوان شبلي الملاط » ان يضع هذا التعريف تحت رسم الشاعر .

وتقديما للراي الذي سنبديه ، لكي لا نقول دراسة او ما هو اليها من جوانب النقد الحديث ، نورد بعض كلمات اجتزاناها مما قيل من كثير للتدليل على قدر الملاط الشاعر والتنويه عن قيمة شعره ، نبداها بقـول الامـير شكيب ارسلان : « ... مهما نبهت على محاسن شعر الملاط كان تنبيهه على نفسه ابلغ واسرع ، ومهما اقمـت عليه مـن البراهين كان برهانه فى ذاته اظهر واسطع . »

وجاء فى رسالة لخليل مطران قوله : « ... ولكنني على ثقة من ان كل متصفح لديوانك ستوحي اليه فرائده وقلائده ما يغني كل الغناء عن افصح تقريظ وابلغ ثناء . ولقـد تصرفت فى قريضك تصرف العباقرة : فآنا يذكرنا الفحول المبرزين فى الجاهلية والاسلام ،وآنايرينا افانين التجدد فى ادق صورها الفنية الحديثة . ومهما تختلف الاغراض ومهما تتباين الصفات فما تفارقه فى حال تلك النسمة السحرية التي تكمـــن تحت كل ابداع فتخلـب الالباب وتغصب الاعجاب . »

وقال امين تقي الدين فى الملاط بعد حفلة مبايعة شوقي بامارة الشعر : « ... ارأيت النهر يجري تارة رائقا صافيا هادئا ، وطورا مكمدا متدفقا غضوبا ، بينا تراه شفافا عن حصباء نقية هي اللآلىء ، اذا به يقذف تياره الى كل جانب فلا تقف قوة فى طريقه ، هكذا كان شبلي ينشد قصيدته الطيبـة . »

نكتفي بهذا القدر من صريح الراي بعبقرية الملاط يجهر به ثلاثة من اعلام الشعر ، الاغنياء عن القول يرسلونه فى غير اصالة الكلمة وما تتناوله من واسع الاداء .

بلى، شبلي الملاط كان خاتمة قافلة اولئك الذين يذكرونك حينا بالرواء الشعري العربي كما عرف فى اقدم ينابيعـه واصفاها ويحملونك حينا اخر الى مشارف الخيال الحديث الفن او ينزلون بك الى اعماق من الفكر النابض بـالمعاني القيمـة .

كان من تلك الصفوة من الشعراء التي اعتبرت الشعر العربي منبرا للبلاغة لا تسمو الى مراتب الاعجاب الا فى ايقاع القافية ، وتعضيد البيت ، وهدرة الانشاد ، وتدافع الالفاظ متواثبة الى اماكنها من التعبير فى اشراقة من المعاني الرفيعة . ولعل قصيدته فى مهرجان شوقي جاءت خـير منبرياته الشعرية التي كان فيها قطبا من اقطاب الشعر العربي فى موروث بيانه وجدة معانيه . وهذه ابيات منها :

يا ساكن الـوادي وشوقياتـه ... زهر النجوم طلعن غير خوابـي
لك فى ظلال الارز فتيته الالى ... يترنحون بهـا على استطراب
هموا بغرة مهرجانـك وانتشوا ... يتناشدونـك فى كؤوس شراب
وتساءلـوا لا يعلمون اعاصر ... عنب الكروم لهم ام الدوشابي؟؟
صفقت من خمر الشام شرابهم ... وعصرت ما فى مصر من ارطاب
يتروح المجهـود منتعشا بـه ... ويذود عن عينيه طيف عذاب
وتدب نشوتـه اليـه وترتقي ... بالـورد للخديـن والعنـاب

وهذه القافلة التي كان شبلي الملاط خاتمتها لم تستطع ان تضبطه فى حدودها وفروضها ، لانه كان يتشوف الى جديد يلائم انطلاقة العقول من اسارها ويساير موكب الحياة الطالع مبشرا بالنهضة الحديثة ، فاذا هو ينحو نحوا ، جاء فارسا فى ميدانه هو نحو الشعر القصصي . ونعني بالقصصي هنا طائفة من القصائـــد فى ديوان شبلي تناول بعضهـا بوجدانية صافية وتناول البعض الاخر من جوانب التاريخ للقدوة والعبرة . فكان فى هذه كلها رائد طليعة للخروج من حيز الغنائية كما توارثها الشعراء العرب حتى مطل القرن العشرين نذكر من هذه الطائفة القصصية : من الوجدانيات « بين العرس والرمس » ومن التاريخيات القومية « خولة بنت الازور » ومن القصص الاجتماعي : «ام البنين»

وهكذا نكتفي من الاشارة الى هذه المنابع الدافعـة مستعينين بتقديم ابيات من مطلع « خولة بنت الازور » وابيات من « بين العرس والرمس »

# ليالي بعلبك

عيسى ميخائيل سابا

فاتنات فى حمى الابعال مـــاجت بـارتياح
عابثات بالقلوب الزهـــد مـــن اهل الصلاح
رجعت الحــانها الاصـــداء فى وقــع الرياح

فصبايـــا الصيف خمر سائغ من غير راح
صوتهن السكر يسري خلسة فى كــل ناح
نظرات مائجـات تتهــادى كالجنـــــــــاح
ترشف النغمات من افواه ربات الصـــداح

يا شميم الرند يا نفحا نديـــا فى الـــرواح
العـــذارى مائسات فى تثنيهـــا المبـــــاح
كيفمـــا ملت رايت الغنج بوحـــا للصبـــاح
رقصة الاوتـــار تدني الصدر من خود رداح

لهثـــــات تتـــلاقى وعيـــون كبـــــراح (١)
وتثنـــي ودلال مـــائج فى عـــرض ســـاح
سهرات فى جوار « بـــاخوس » برء الجراح
كــل وجــه يتلالا لمعــه لمــع الصفـــــاح
فى ظـــلام الليـــل نور شع من ذات الوشاح
بعلبــك يـــا ريـــاض الانس يـــا ملقى الملاح
فى ليـــاليك العـــذاب الورد غنى للاقـــــاح

(١) براح : علم للشمس

من « خولة بنت الازور » :

ادموع خولـــة ام عقيـــق الوادي … ايـــام نـــادى للجهـــاد منـــاد
لم تبك اخت ضرار حزنا بل بكت … فرحـــا ليـــوم شهـــادة وجهـــاد
غبطت اخاهـــا وهو يعرض رمحه … فـــوق الجواد لغـــزوة وجـــلاد

يا خول ان ابي وجدي استشهدا … قبلـــي على مـــرأى النبي الهادي
وانـــا على اثار من درجـــوا ومن … سعدوا من الابـــاء والاجـــداد
فاذا قعـــدت عن الجهـــاد ثوانيا … فلم ادخـــرت مثقفـــي وجـــوادي
لبيـــك ان دمـــي لسلطاني ومـــا … ملكـــت يداي لدولتـــي وبـــلادي
فسلي كمـــاة الحرب يا ابنة حمير … والبيض قـــد سلت مـــن الاغماد
ينبئك من شهـــد الوقيعة انني … شبح الحمـــام وليث بطن الوادي

من « بين العرس والرمس » :

في ظلال الكروم والعنقـــــود … تحت صلب الغصـــون والاملود
وعلى العشـــب من رطيب العود … وعلى الزهـــر مـــن طري الجيد
كان ملهى هند وملهـــى فريد
نشاءا صاحبيـــن مؤتلفيـــن … وصغيريـــن غيـــر مفترقين
مـــرة يلعبـــان بالكعبيـــن … تـــارة يركضـــان نحو العيـــن
وثب ظبيين شارد او طريد
وعلى اللهو بيـــن ضحك ولعب … واجتماع قلبا الى جنب قلب
قطع الصاحبـــــان اول درب … من دروب الحياة جنبا لجنـــب
وهما يجهلان سر الوجـــود

واخر ما تجب الدلالة عليه ، فى هذه الكلمـــة الموجزة ، من خصائص شعر الملاط القصصي ، هو تميز الوجدانـــي منه بسهولة تلائم معانيه ملاءمة مطبوعة كما هي الحال فى ما قدمنا من « بين العرس والرمس » فى حين يغلب الابقاء على شدة التعبير وهدرته ، وقد تزدادان كما يبـــدو مما قدمنا من « خولة بنت الازور » . ومن مسلسات السهولة طيعة عنده التحلل من وحدة القافية واللجوء الى هـــذا النوع من « التخميس » البادي فى « بين العرس والرمس» او «التربيع» فى « ام البنين » كقوله :

رويـــدا واصبري حتـــى يلينا … فـــؤاد ابيك يا ام البنينـــــا
لئن سعد الفتى فى الحب حينا … لكم شقي الفتى فى الحب حينا

هذه كلمة عجلى فى شاعر الارز ، شبلي الملاط ، الذي خفقت قوافيه فى لبنان والعالم العربي ، مدلة بشاعرهـــا نابغة من نوابغ الشعر العربـــي ، جاء جسرا من جسور النهضة الحديثة .

نسيم نصر

# سنديانة «الخلوة»

فـؤاد الخشن

من اسرة الجبل الملهم

قطعـت ...
وكنت اخضرارا
وظـلا
وكنت ، عـلى التل ،
احلـى جناح
وازهى وشاح ...

قطعت
وكنت ترفيـن
ظهـرا
علينـا
بشـال
نـدي الظـلال
اذا الحر قطر في ريفنـا
لهيبـا
لتنضج منـه الغلال
وتصفر خضر كـروم
تزيـن سمـر التـلال
وتغـدو ، باياول ، تلك الدروب
قوافـل تحدو
تغنـي ... انتشاء
فترقص سكـرى
الـوف السـلال !

قطعت
وكنت قبـاب
ينـام عليها الضبـاب
وليـل بلون البنفسج
طـري مـؤرج
يـذر حنانـه
يسيـل سكونـا
ويهمـي امانـا
وحبـا
علـى المتعبيـن !

قطعت
وكانت جيوبـك مأوى
لنحل رتيب النغـم
يدندن فيهـا اغاني النهـم
وكانت غصونـك بيت العصافير
بيـت الفراش
وشبـاك صحو يهـل
ومنـه تطـل
عيـون الصبـاح
علـى ضيعتي !

قطعـت
وكنت كتـاب السنيـن
وذخـرا ثميـن
بـه نستعيد
زمـان الجـدود
وهزج الشبـاب
ورقـص الصبايـا
وتلـك الحكايـا
بصفو الليالي التي مـا تزال
تنـام عليها عيون الجمـال !

قطعت
فراحت طيـورك مذعورة
لرنات فأس تفتق فيـك الجراح
وتستل روحـا لام حنـون
عـاشت بـذا الريـف
تطـوي القرون !
وتحنـو عليـه
عـلى ساكنيـه ...
عـلى طـيره ...

قطعـت
ليهنأ ذاك الامـير
وينعـم منـك بفحم كثير !
لتسلب ارض شويفاتنـا
بقيـة كـنز
وخـير اثـر
وتطمس احلـى الذكر
لامس جميـل عبـر ...

قطعت ... فسالـت
دمـوع الرعـاة
عـلى وجـه ارض بدون ظلال !
تضم بقايـا الجـذور ...
وتشرب ذوب الحرور !

قطعت ...
ففي كل فجر تنوح عليـك الطيور
ويبكـي الزهر
صديقـة عهد قديـم
ويرثي النهـر
زمـان الصفاء
وموت الوفـاء
بموتـك انت ...
ايـا سنديـانه !

الشويفـات ــ لبنـان

# خليل شيبوب

بقلم نقولا يوسف

نحن في « اللاذقية » .. والقرن العشرون ما برح طفلا يحبو .. شهر يوليو عام ١٩٠٨ – والطبيعة في جلالها منذ الازل .. تتحدى عربدة عبد الحميد وسلطانه – فلم يزل الثغر العربي العتيد رابضا في مكانه غربي سوريا على ساحل البحر الابيض .. تشرف عليه الهضاب والجبال وتقترب منه التلال المكسوة باحراش التين والزيتون، ومزارع القطن والطباق ، ومراعي الماشية والاغنام .. وتنتشر هنا وهناك خرائب الرومان، وبقايا قلاع الصليبيين، والاعمدة الكورنثية، والمساجد والكنائس القديمة .. وتعلو مئذنة «جامع المغربي» مطلةعلى امواج البحر، ووادي « النهر الكبير » ..

المدينة ما برحت حية فتية ، تجتر ذكريات الاجيال منذ غزوات البابليين ، فالفرس ، فالاسكندر ، فالرومان ، فالبيزنطيين .. حتى رفرف عليها العلم العربي في القرن الميلادي السابع .. فاضحت الميناء العربي التجاري الزاهر .. ثم شاءت الاقدار ان تنطوي كغيرها من مدائن الشرق الاوسط تحت الحكم التركي فتعاني اربعة قرون طوال ..

وعلى شاطىء « اللاذقية » في احدى امسيات ذلك الصيف ، كان يجلس غلامان يافعان اخوان من ابناء تلك المدينة .. لم يبلغ اكبرهما السابعة عشرة ، ويصغره الاخر بسنتين .. وكانا يسرحان البصر فيما وراء السفن الشراعية الراسية امام الشاطىء .. الى الافق البعيد .. ثم يقول الاخ الاكبر ، بعد فترة من الصمت ، وكان فتى شاعري النفس ، متوثب الخيال ، عريض الآمال :

– اتعرف يا اخي اين كنت الان ؟

– اين ؟

– كنت اجتاز بمخيلتي هذا البحر الفسيح .. في رحلة قد يطول امدها .. كنت احمل حقيبتي مهاجرا .. ساعيا نحو مستقبل مضيء رحيب .. ولست في الهجرة الاول ولا الآخر .. الطيور تهاجر مع الخريف طلبا للدفء .. وافواج الناس من سوريا ولبنان وفلسطين يرتحلون كل يوم الى المهاجر – الى مصر والسودان والامريكتين وغيرها من بلاد الله .. وهأنذا قد اتممت في هذا الشهر دراستي الثانوية كما تعلم .. واصبح ميداني هناك – وراء البحر!.

– والى اين يا خليل ؟

– الى الشاطىء العربي القريب .. الى الاسكندرية – عروس البحر – هناك ساتابع دراسة اعلى .. ساشتغل .. واكتب وانظم .. في جو متحرر مضياف .. الاهل هم الاهل .. واللغة هي اللغة .. والعروبة .. والطقس .. والبحر .. لا فرق .. سأسبقكم اليها ، وستلحق بي انت والاسرة جميعا .. وهكذا سأقفو اثر الشاعر الحبيب الذي هاجر الى الاسكندرية منذ ستة عشر عاما – فتى في العشرين – هربا من عيون عبد الحميد .. هناك يملأ خليل مطران الوادي بشعره وقلمه !.

وقال اخوه في عزم : واني لاحق بك بعد قليل !

وفي شهر اكتوبر عام ١٩٠٨ – ودع خليل شيبوب والديه وشقيقه وشقيقتيه .. وترك بيته ومسرح طفولته وصباه .. ونزل بالاسكندرية .. صبيا في السابعة عشرة ليتخذها وطنا ثانيا .. وليقضي بها بقية العمر ..

وبعد اعوام قلائل ، لحق به شقيقه الاديب صديق شيبوب عام ١٩١٤ .. وكانت الحرب العالمية الاولى قد شبت نيرانها .. ومعه البقية الباقية من الاسرة .. واستقروا جميعا بالاسكندرية ..

ولم يدر في خلد الفتى يوم استودع في اللاذقية والديه ، انهما لاحقان بربهما بعد قليل ، وان قبريهما سيكونان هناك فوق تلالها .. فقد نعي اليه والده في ربيع ١٩١٣ ونعيت اليه امه بعده في نهاية العام التالي ..

* * *

ولد خليل شيبوب باللاذقية في ٢٨ من يناير عام ١٨٩٢ .. وقضى بها الاعوام السبعة عشرة الاولى من حياته ، بين اسرة قوامها ستة افراد ، والدين واخوين واختين ..

وكان والده يحب القراءة في كتب الادب .. ولكن عينيه لم تساعداه عليها .. فكان يكلف ولده الاكبر خليل مرة ، وولده الاصغر صديق مرة اخرى ، بالقراءة له .. فهما من تلاميذ المدارس .. وكان اكبر الصبيين يجيد القراءة والالقاء .. فيطالع لابيه قصة « عنترة » وامثالها .. وكذلك كان يلجأ اهل البلدة الى الصبيين ليقرءا لهم .. فاعانهما ذلك على التمرس بالمطالعة منذ الصبا .. وحبب اليهما قراءة كتب الادب ودواوين الشعر .. وتعلق خليل بشعر عنترة ، وراح يحفظه ويترنم به ، ويحاول تقليده .. كما كلف بعد ذلك بالمتنبي وقصائده ..

وكان الشقيقان قد التحقا « بمدرسة الفرير » باللاذقية .. وكان بها درس يومي للغة العربية وادبها ، يقوم بها « فرير » (أخ) عربي لبناني ، مولع بالشعر ويشجع تلاميذه على نظمه ، ويقرأ لهم ما يروقه من القصائد العربية .. كما كان يدرس الادب الفرنسي والاغاني الفرنسية بتلك المدرسة .. واغرم خليل بشعر لامرتين وهوجو وخاصة بشعر دي موسيه ، وبكتابات روسو وشاتوبريان .. فله من خياله المنطلق وشبابه الغض ، ما وثق بين قلبه وبين الرومانسية الفرنسية ..

وأذ كانت تلك المدرسة تابعة لارسالية مسيحية ، فقد كان بها ايضا دروس فى الموسيقى والترانيم الكنسية، طبعت شعره فيما بعد بطابع موسيقي رقيق ..

وكــان خليــل شيبوب سريــع الحفظ ، فاستظهر الكثير من الابيات الشعرية ، العربية والفرنسية ، كما كان يجيد التمثيل فى حفلات المدرسة آخر العام ..

وكرت الاعوام .. واتم خليل تعليمه الابتدائي والثانوي بمدرسة الفرير هذه .. وتخرج فيها فى شهر يوليه عام ١٩٠٨ وقد نيف على السادسة عشرة ..

اما خارج المدرسة والبيت ، فكانت ثمة البيئة الطبيعية الغنية بجمالها ، تسحره صورها وتفتنه مناظرها .. فالبحر الذي كان يحبه ويلازمه ، يمتد امامه رحيبا رائع الالوان .. والجبال والتلال .. والمراعي والمزارع .. واحراش شجر الفاكهة المتنوع الثمر ..

وحمل خليل شيبوب هذه المؤثرات الاولى معه الى الاسكندرية .. فهو الفتى المشبوب الخيال ، المرهف الحس ، المحب للجمال ، الكلف بالشعر العربي والفرنسي، وبالموسيقى الشرقية والغربية .. وتصادفه ها هنا فى البيئة الجديدة مؤثرات اخرى تتفاعل بها نفسه على مر السنين ، وتوالي التجاريب .. وشاءت المقادير ان يفجع الشاعر فى والديه الحبيبين فى بدء عهده بالاغتراب .. فقضى والده باللاذقية فى ربيع عام ١٩١٣ وارسلوا الى الشاعر نعيه وصورة جنازته فرثاه بالقصيدة الباكية « القبر » التي نظمها فى ابريل من ذلك العام ومطلعها (١) :

على سفح ذاك التل من جانب الحمى ... له جدث فى الارض قد طاول السما
مطل على البحر المحيط وقد حوى ... اجل من البحر المحيط واعظما
احاطت بـه الاشجار وهي كانها ... حزانى لديه شاكيات تالما
ابي كنت تنسي اليتم كل ميتم ... بموتك اضحى مرتين ميتما
توسعت فى المعروف حتى ملكته ... وحيدا فلما رحت راح مقسما
وكنت كبير العقل والقلب والنهى ... وكنت الابر المستحب المفخما
وكنت طهور النفس والدين والحجى ... وكنت الابي الاريحي الميمما

وتنتقل امه الى جوار ربها بعد ابيه بعشرين شهرا ، فيعود الاسى يتفجر فى قلبه ويعاوده الحنين الى بيته وصباه واهله .. فينظم فى شهر فبراير عام ١٩١٥ اغنيته الحزينة: « نظرة الى الماضي » ، يضمنها شيئا من ذكرياته عن بيته ومسرح طفولته ، وعن اسرته التي كان قد خلفها وراءه على خير حال ، وسافر وحده ليأته فى غربته نعي ابيه وامه .. وفيها يقول (٢) :

يا منزل الفتيان والفتيات ... ضاعت عليك شبيبتي وحياتي
وبقيت فيك مخلد الحسرات!
ودفنت فيك مودتي ووداي ... واطلت عنك تغيبي وبعادي
وجهلت بعدك مورد اللذات .
فطموني عنك طفلا ... لاهيا في غفلاتي
تاركا صحبا واهلا ... تاركا فيك حياتي
فنزلت فى ارض الغريب وحيدا ... متحملا باس الزمان شديدا
طاوي الضلوع على لظى الجمرات

اننا كنا جميعا ... ستة أما وأب
رزقا اربعة غرا ميامينا نجب
فتفرق الابناء قبل اوان ... اسفا وغيب فى الثرى الابوان
فى فترة حسبا مع الاموات
هلا ذكرت ابي وطول حنانه ... وسناء طلعته وحر جنانه
وكمال اخلاق وغر صفات ؟
لم تنس امي وهي جوهرة الحمى ... بنت الطهارة اخت سكان السما
نزل الكمال بها باكرم ذات !
انها عاشت حزينة ... بعده عشرين شهرا
وهي للداء رهينة ... تحسب الليلة دهرا

ويعاوده حنينه الى مسقط رأسه ، فينشد :

النشأة الاولى وسالف عهدها ... كانت اصولا قد زكت بفروع
لعب الزمان بها ولم يترك سوى ... وجد عليها فى الفؤاد رجيع
يا جيرة « النهر الكبير مدامعي » ... لنم تسيل كمائه الممنوع
هل نهلة منه تبرد لوعة ... طاحت بقلب عنكم مدفوع
اني يؤرقني اليكم هاتف ... بكم يؤجج حسرتي ونزوعي
والله ما طول البعاد بآخذ ... مني ولست لعهدكم بمضيع
وبمهجتي اعلاق وجد لم تزل ... تذكي قديم صبابتي وولوعي !

ويبدأ خليل شيبوب حياته الجديدة بالاسكندرية ، ويتخذها ـ كما سلف ـ وطنا ثانيا الى يوم وفاته .. فكانت مسرح شبابه ومهبط وحيه الجديد ، وميدان نشاطه الوافر .. واحبها الشاعر ، ونظم فيها وفى بحرها وشاطئها ومصايفها غرر القصائد ..

وكان وصوله اليها فى خريف ١٩٠٨ وقت ان نشر مطران ديوانه الجديد : « ديوان الخليل » وسطع نجمه فى افق الشعر الوجداني التجديدي ، المتألق بالمعاني المبتكرة والتعابير الجزلة .. وسرعان ما وجد فيه شيبوب ضالته وقدوته ..

وكان خليل مطران قد سبق صاحبه الى الاسكندرية مهاجرا منذ عام ١٨٩٢ يوم كان فى العشرين . وما لبث ان لفت اليه الانظار منذ ان وقف بين الجموع فى جنازة سليم تقلا صاحب « الاهرام » يرثيه بقصيدة رنانة ، وحين استدعاه بشاره تقلا ليكتب فى « الاهرام » ـ وكانت تصدر فى الاسكندرية يومذاك ـ فظل مطران بضع سنوات يرأس تحريرها بصفة غير رسمية حتى تركها حين لم يكفه مرتبه.

وبالاسكندرية تعرف خليل شيبوب بمطران .. وما يكاد مطران يلم بالاسكندرية بعد انتقاله الى القاهرة في فترات متقابلة حتى يسرع الى لقائه الشيبوبان .. وظلوا كذلك حتى انتقل مطران الى رحمة الله عام ١٩٤٩ ولحق به خليل شيبوب بعد عامين ..

وترى شيبوب منذ عام ١٩١٧ ينظم قصة بعنوان «سليم وسلمى » على طريقة مطران فى قصصه المنظومة ، ويتوجها بعبارة الاهداء (٣) :

الى نادرة العصر ... وعلم النظم والنثر
مجدد الصناعتين ... ونابغة القطرين
خليل مطران

ثم يعود فيصف قصته هذه ويقول انه صاغها فى قالب لولا مطران ما كان جديدا ..

ويبادله مطران التحية فيكتب مقدمة لديوان شيبوب : « الفجر الاول » الذي صدر عام ١٩٢١ ويبدأها بقوله (٤) :

«خليل شيبوب صديقي . ارادني لاقدم ديوانه . حبا للخليل وكرامة . خلته مستحييا مما يسومني . ما اعظم تواضعه . تا لله انه ما كان مجشمي صعبا الا ان يدعوني الى غير ما الفت من الصدق . وهذه فرصة اشكرها لـه لانه قيض لي بها ان ابدي رأيي في الضرب الذي آثره من الشعر على سواه . اقول من الشعر وارجو ان يفرق القاريء كما فرقت بين معنى الضرب من الشعر ، وبين معنى الضرب فى النظم ... »

ويشير الى هذه الصلة الروحية بين الشاعرين ، والى هذا الاثر الذي تركه مطران فى شيبوب يسجله صديقهما المرحوم الدكتور اسماعيل ادهم فى بحث نشره عام ١٩٣٨ بمجلة « المقتطف » وفيه يقول (٥) :

« .. وفى ذلك الوقت كان رحيله ( اي خليل شيبوب ) الى مصر ، ووقوعه تحت تأثير مطران ، الذي وجد فيه اصدق شاعر عربي فى التعبير عن الاحساسات والخيالات التي تجيش فى نفسه ، متخذا طريقة فى النظم لا تنافر اوضاع العربية ، وفى الآن نفسه تليق للروح الجديدة التي يحملها . ومن هنا جاء احتذاء خليل شيبوب لمطران فى شعره .. فانت ترى شيبوب ينسج فى شعره نسج مطران . فهو يقول الشعر على اعتبار وحدة الشعور ، واطراد الخواطر ، وتسلسل المشاعر ، واتساق المعنى . وهو يعمد فى التعبير عن ذلك الى نفس اسلوب مطران الشعري . ففي شعره نفس التركيب الذي عند مطران ، ونفس التنسيق المنطقي ، وايجاز الجمل ، وقوة التعابير ، وجزالة الالفاظ . فضلا عن وحدة الصناعة الفنية التي تبتعد عن الجري وراء المحسنات الكلامية ... » ويقول :

« وانت يمكنك ان تلمس عند شيبوب الكثير من الاغراض المطرانية من جهة المعنى والخيال . وهي منتشرة فى ديوانه : « الفجر الاول » بصورة تستوقف النظر . فمن ذلك قوله ( الفجر الاول ص ١١٠ )من قصيدة « العينان » : ( وحاك لخطاك اكفاني بما غزلا ) فهي فى صورتها الخيالية من مطران ونسج قصيدة « لا تنس » ( الفجر الاول ص٢٣ ) وروحها تذكرنا بنسج مطران وروحه التي تنفعل بعناصر الشقاء فى الدنيا ، وتميل نحو التشاؤم . وهي تدل على وحدة المزاج بين الشاعرين . وهذه الوحدة هي التي مالت بشيبوب ان يتأثر بمطران فى تحميل شعره صراع الطبيعة . ( انظر قصيدة العصر ص ٢٤–٢٥ ) . وانت تجد تعابير شيبوب تنهج النهج المطراني . فقوله من قصيدة القبر « لست

اري صبحا ولست اري دجى » ..

ولكن هناك ايضا فروقا بين « الخليلين » الشاعرين ، اشار اليهما اسماعيل ادهم فى تلك المقالة اذ يقول :

« .. ونقطة الافتراق من جهة النسج ، ان عبارة شيبوب اكثر موسيقية من عبارة مطران . وهذا يرجع الى ان شيبوب ذو وجدان موسيقي اقوى من وجدان مطران الموسيقي » .

ويقول : « اما من جهة الروح فشيبوب ينحو منحى مطران من جهة التركيب فى المعنى والخيال والعاطفة . غير انه يفترق عن مطران فى انه أقرب الى البساطة في تركيبه من جهة . ومن جهة اخرى فالاشراق اظهر فيه » .

ثم يقول اخيرا : « .. يمكن ان نقول ان خليل شيبوب امتداد مطران الطبيعي نحو تضمين العواطف فى الطبيعة بصورة اكثر انفراجا ورحابة من مطران . وهو فى هذا تقدمة للدكتور احمد زكي ابو شادي الذي تنفرج عنده عاطفته بالاندماج فى الطبيعة حتى تذوب ذاتيتها فى الشمول الكوني .. »

تلك خلاصة اوجه الشبه والافتراق بين مطران وشيبوب . على ان اعجاب شيبوب بشعر مطران التجديدي المتأثر بالشعر الاوروبي ، لم يبعده عن دراسة الشعر العربي قديمه وحديثه .. فقد كان مثلا معتزا بشعر المتنبي ، يتأثره فى قدرته على ايداع المعاني الدقيقة فى يسير من اللفظ الجزل . وبحثه عن « غزل المتنبي » يوحي باعجابه بهذا الشاعر ، وافتتانه بصياغته الاسلوبية (٦) ..

وقد عالج خليل شيبوب النظم منذ حداثته .. ولئن كان شيبوب الى جانب ذلك كاتبا ومحاضرا وقانونيا ، فقد كان شاعرا اولا واخيرا ، ينظم الشعر منذ كان فى العشرين . وتعود قصيدته : « النور والحياة » التي نظمها عام ١٩١٢ الى ذلك العهد الباكر (٧) ..

ثم تتابعت اشعاره بعد ذلك ، فجمع ما نظم فيما بين ١٩١٢ ونهاية ١٩٢٠ ( فى نحو تسعين قصيدة مختارة ) .. ونشرها فى ديوانه الاول المطبوع عام ١٩٢١ باسم : « الفجر الاول » .. وكان فى الثلاثين من العمر – مصدرا بمقدمة نثرية لمطران ، وبقصيدة لشوقي يقول فيها انه ليس للشعر قديم وحديث .. ثم بمقدمة لصاحب الديوان يشرح فيها مذهبه فى الشعر .. وخلاصة هذا المذهب : (٨)

انه يجب التعبير عن المعنى الصحيح باللفظ الفصيح . وكل معنى لا يجدد فى الذهن صورة نادرة ، او فكرة سامية فهو سقيم . وكل لفظ يصور المعنى بوجه التقريب ، او يكدر صفاء الصورة فى الذهن ، فهو عقيم . ونحن اليوم الح ما نكون حاجة الى ابتكار المعاني ، وتنسيقها وجلائها ،

(١) ديوان « الفجر الاول » لخليل شيبوب ص ١٠–١٢ – (٢) الفجر الاول ص ٥٨–٦٣ – (٣) « الفجر الاول » ص ١١٧ – (٤) « مقدمة الى مطالع هذا الديوان » لخليل مطران – ص ١ : « الفجر الاول » – (٥) مجلة « المقتطف » مجلد ١٩٣٨ ص ٢٢٠–٢٢٢ « بحث مسلسل عن خليل مطران » – (٦) مقالة بالمقتطف عام ١٩٢٥ – (٧) « الفجر الاول » ص ١–٢ مؤرخة ١١ يوليه ١٩١٢ – (٨) عن مقدمة « الفجر الاول » بقلم صاحب الديوان – (٩) انظر « المقتطف » مجلد٨٤ و٨٥ و٨٧ – (١٠) مجلة الرسالة ١٩٣٩–١٩٤١ – (١١) ابولو مجلد ١ ص ٢٢٧ – (١٢) احمد الطاهر – « الاهرام » ١٩٥٣/٢/٥ .

والتعبير عنها بلفظ يلائمها . واللفظ للمعاني ثياب لا بد من اتقان صنعها ، والتوفيق بين الوانها وهيأتها لئلا تصير مدعاة للضحك والسخرية .. والشعور والخيال جناحان تطير بهما نفس الشاعر الى مراقي الفن الابدية . وترفرف بهما على الحياة تستشرفها استشراف الطائر وجه البسيطة . والفن شمس الحياة ، تنير مكامنها المظلمة ، وتدل على مخابئها البعيدة ، وتزيد في جمال صورها البارزة ، فتستجليها العيون على قدر ما اعطيت من قوة الباصرة . وقد امتزج الفن بالحياة ، وامتزجت الحياة بالطبيعة . وكأن الشعر روح تتنفس عنه هذه الطبيعة ، فوجب النزول الى معالجتها واستفتاح مغالقها ، واستيعاب حكمها ، واستيضاح زخارفها . وفي هذا من الجهد والصبر . ولا كمال في الشعر ، كما انه لا كمال في الفن ، والا ما كان هذا فنا وذلك شعرا .. »

ثم اشار الشاعر الى تأثرغيره من شعراء الشباب بالادب السكسوني ومجاراته في الترامي وراء العويص الشاذ من الخيال والمعاني . بينما كان الشرقيون ـ كمايقول ـ بطبائعهم وغرائزهم اقرب الى محاكاة المدنية اللاتينية . فاستقاء المذهب الرومانسي من منبعه ( اللاتيني ) اوفى بالحاجة واتم انطباعا على طبائعنا وحياتنا الشرقية ..

وقد كان هذا الرأي الاخيرموضوعا للمناظرة يوما في الصحف بين ادبائنا الذين يدرسون الادب الانجليزي، وبين الملمين منهم بالادب الفرنسي ..

وفي ديوان «الفجر الاول» تجد لوحات فنية كثيرة من شعر الوصف والتصوير كما في قصائد : « البحر » و « على شواطىء الاسكندرية » و « المتشاعر » .. ومن شعر الغزل كما في قصائده : « الثوب الازرق » و « العينان » و « عقد الكهرمان » ومن الشعر القصصي كما في : « سليم وسلمى » و « موقعة ابي قير » .. ومن التضمين للعواطف الذاتية كما في « الليل » و « شكوى » و « نجوى » .. كما تجد عددا من القصائد الرائعة في الحب والمراة ، وفي تصاريف الزمان ، واخلاق الناس ، والحيرة والشك والسخرية والاستخفاف بالنوازل ، والتسامح والرحمة . وبعد صدور « الفجر الاول » عام ١٩٢١ ، ظل خليل شيبوب ينظم الشعر طوال النصف الثاني من حياته . وينشر قصائده هذه في الصحف والمجلات . مما يجتمع منه الجزء الثاني من ديوانه . وكان يفكر في اخراجه باسم « احلام النهار » او بأسم اخر ..

فكنت ترى له بين الحين والحين في تلك الاعوام الثلاثين الاخيرة من حياته ، قصيدة منشورة في « البصير » او « الاهرام » او « الرسالة » و « ابولو » و » المهذب « و « الحديث » ( بحلب ) وغيرها ..

ومن روائعه المنشورة بالمقتطف : « غيوم الخريف » و « الزهرة السوداء » و « الغريبة » و « البنفسجة » (٩)

وبمجلة الرسالة : «انت» ، و «العمر الضائع» ، و«انشودة»، و « العاطفة الحيرى » ، و « مهرجان الربيع » (١٠) .

كما لقيت قصيدة « الشراع » التي نشرها بمجلة«ابولو» الكثير من الاعجاب (١١) .

ويكاد يتفق النقاد في الراي على ان شعر شيبوب له الخواص التالية (١٢) :

ـ توسطه المتزن بين القديم والحديث ، وتوفيقه بين مذاهب النقاد التي تفرقت بين متعصب للقديم لا يرى الخير في غيره ومتشيع الجديد لا يعترف بسواه .

ـ ابرازه الصور والاخيلة الحديثة في اطار من الاساليب العربية الرصينة التي نهل منها شعراء العرب القدماء أمثال المتنبي وابي تمام والبحتري ..

ـ « مسايرته لنزعة التجديد التي جنح اليها الشعراء الفرنسيون في هذا العصر واخضاعه الاراء والاخيلة الغربية الحديثة لاساليب التفكير العربية الخالصة في عربيتها وفي شرقيتها اخضاعا لا يبدو فيه عسر الاكراه ولا عنف التسخير . فاستطاع ان يلبس الفكرة الغربية رداء عربيا ، فلا تجد في الرداء عيبا ولا في المرتدى غرابة . كأن لك بهما عهدا مالوفا » .

ـ « وبالمثل استطاع ان يصوغ الفكرة الشرقية العربية الخالصة في شرقيتها وفي عربيتها صياغة تجعلها اقرب ما تكون الى مسارب التفكير الغربي الحديث دون ان يشعر القارىء العربي بعجمة نابية على ذوقه او شاذة عن احساسه»

* * *

واحب خليل شيبوب البلاد المصرية ـ وطنه الثاني ـ وخاصة الاسكندرية ، التي قضى بها معظم سني حياته ، ونظم في مصر الابيات الرقيقة كما في قوله :

ارض كأن حياضها وغياضها    ورياضها ثوب الخلود المعلم
النيل يجري بالحياة مباركا ،    خيراته موفورة والانعم
يحيي البلاد قريبها وبعيدها    فكأن مصر الجسم والنيل الدم

وفي قصيدة له عن الاسكندرية يقول :

خطاب حسنك يا اسكندرية ما    زالوا وما برحوا يوم الحفاظ هم
توحدوا فيك حبا ان طابعهم    اسكندري فلا عرب ولا عجم
والحسن ما زال فردا فيك جوهره    وجوهر الحسن فرد ليس ينقسم
البحر مقلته الزرقاء رانية    اليك الحاظها في الماء تنسجم
يصفق الموج تصفيق الطروب وما    ينفك في زحفة بالشط يلتطم
والبر حولك جم الانس منبسط    اشجاره بهجات العين والاكم
مدت تصافحه الصحراء راحتها    وجاورتك بحق ليس يهتضم
لم يعرف الروض زهرا فيه انضر من    زهر الوجوه نماها ماؤك الشبم

كما يقول في الاسكندرية ايضا :

ثغر الجمال بنور الحب يبتسم    عن الدراري عقدا فيه ينتظم
ماجت به بدوات السحر حافلة    بها معاني الهوى فاستعصت الكلم
ايه سلمت عروس الشرق مزدهرا    فيك الربيع، مضيئات لك الظلم
اضفت عليك الليالي وحي خاطرها    حتى تحقق دون اليقظة الحلم
واستوعب الدهر رسما منك سطره    بسيفه عبقري بأسه عرم

قد قبل الغرب فيك الشرق فالتقيا　　كما تلاقى على وعد فم وفم
فانت قبلة دنياوين اشربتا　　هواك حتى استوى وجد وسيطدم

وتراه فى مطلع شبابه يزور « ابو قير » من ضواحي الاسكندرية ، وكان الوقت شتاء ، فهجرها المصطافون ، وشعر بالحنين الى لياليها الصائفة فراح يقول :

ليال «ابو قير» اين الليالي　　واين النجوم التي تلمع ؟
« ابو قير » انت سمير الجليس　　ووعظك ابلغ ما يسمع !

وفاض خياله فنظم ملحمة صور بها احداث التاريخ فى ذلك المكان ، وما تترك فى النفس من عبر ، وكان ذلك فى نوفمبر ١٩١٤ والشاعر فى الثانية والعشرين . فاذا عاد الى « ابو قير » هذه راح ينظم قصيدة اخرى : « ابو قير فى ضوء القمر »

وكذلك اوحى اليه البحر بالاسكندرية عددا من غرر القصائد ، ترى بعضها فى « الفجر الاول » ومنها القصائد المعنونة : «البحر» و «البحر مرآة الحياه» و «نظرة وخطرة على شاطىء البحر » و « على شواطىء الاسكندرية » و « ابو قير » كما تجد البعض الاخر منشورا فى الصحف بعد ظهور هذا الديوان ، ومنها : « شروق الشمس فى ابو قير » و « سيدى بشر » ..

اما « سيدي بشر » هذه ، فمصيف برمل الاسكندرية ، اعتاد الشاعر ان يقضي به شهور الصيف ، فى بيت هادىء يطل على الرمال والنخيل .. فاوحى اليه هذا المكان شعرا رقيقا كما فى قوله :

نزلت سيدي بشر مستشفيا　　مما بصدري من اسى نازل
فى جنة صيرتها عزلة　　ليس بها غيري من آهل
طريدة الجنات يثوى بها　　طريد هم لازب قاتل
صحراء الا ان واحاتها　　معروشة الاشجار بين الرمال
مثل بقايا الحب فى مهجة　　احرقها اليأس وكر الليال
قد حفلت بالحسن داراتها　　واتسقت فى صدرها كالـلآل

وفى قصيدته : « جنة سيدي بشر » التي نظمها فى مايو ١٩٤٠ يقول :

يا دار حبي لا زالت مفتحة　　فيك الورود وجادت روضك الديم
بالامس خالية قفراء ليس بها　　الا الرمال والا النخل والخيم
واليوم ترتجل الجنات تربتها　　قد ينبت الرمل ما لا ينبت الاجم
يمشي الجمال رصيفا فى مساربها　　فالارض خاشعة والبحر محتشم
تنسى هواة صخور «المكس» صخرتها　　والموج عن جانبيها سادر خصم

* * *

كان الادب وخاصة الشعر منه ، هوايته الاولى والاخيرة — كما سلف — ولكن الادب لم يكن يوما سبيلا ممهدا للرزق .. فهو لهذا يلتحق بوظيفة فى « بنك الاراضي » بالاسكندرية ويظل عاملا نشيطا امينا لهذا المصرف سنوات طوال الى يوم وفاته ..

وقد دعته هذه الوظيفة الى دراسة القانون والاقتصاد ، فانتسب الى مدرسة الحقوق الفرنسية بالقاهرة ، ونال منها ليسانس القانون عام ١٩٢٦ كما درس بمدرسة التجارة الليلية الفرنسية ، وحاز اجازتها

ودعاه عمله هذا الى ان يبذل جهدا مضنيا ووقتا طويلا فى وضع « المعجم القانوني » الذي الفه وطبعه فى نحو ستمائة صفحة ، وظهر فى اواخر حياته فسد فراغا كبيرا فى هذا الفن اذ ترى به اللفظة الفرنسية وما يقابلها فى العربية مع كثير من الشرح والايضاح ..

والى جانب نظم الشعر الذي جعل منه شاعرا كبيرا من شعراء العربية فى هذا العصر ، فقد كان له مجالات ادبية واسعة اخرى :

فقد كان كاتبا وصحفيا ايضا .. وكنت تقرأ له عام ١٩٢٠ بجريدة « البصير » السكندرية، سلسلة من المقالات بعنوان : « بريد الثلاثاء » ظلت عدة اشهر .. وفى عام ١٩٣٦ اشترك خليل شيبوب مع ثلاثة شعراء اخرين من شعراء الاسكندرية فى ترجمة مختارات من الشعر الفارسي والهندي وغيره من شعر الشرق ، الى اللغة العربية نظما ، وصدرت تلك الترجمات المنظومة فى كتاب اسمه « قبس من الشرق » .

وفى سبتمبر ١٩٤٨ صدر لشيبوب كتاب عن « عبد الرحمن الجبرتي » ( فى سلسلة اقرأ ) وفى سنيه الاخيرة اخذ ينشر الابحاث الادبية بجريدة « الاهرام » .. اما محاضراته الادبية والتاريخية بالعربية والفرنسية فى اندية الاسكندرية ومحافلها الادبية فمتنوعة ومتعددة . ومنها محاضرته بكلية الآداب عن « الكلاسيكية والرومانسية » او كما سماها ايضا : « الاتباعية والابتداعية » . وكان قد دعته الى القائها « اسرة الادب العربي » بتلك الكلية ..

* * *

وكان لالمامه بالقانون والاقتصاد ، ثم الى شخصيته الاجتماعية البارزة ، ما دعا عددا من الهيئات الاجتماعية والخيرية بالمدينة الى الاستعانة بخبراته وخدماته . فكان يتطوع الى المعاونة .

فتولى سكرتارية « الجمعية الخيرية الارثوذكسية » بالاسكندرية ، وسكرتارية « مجلس طائفة الروم الارثوذكس الوطنيين » . وكان عضوا عاملا فى مجلس ادارة « الاتحاد العربي » ، وهي جماعة نشأت اولا بالقاهرة وكان لها فرع بالاسكندرية . وكانت تهدف الى جمع شمل العرب وتوحيد صفوفهم . وكان عضوا عاملا فى عدد من الاندية الاجتماعية والادبية بالمدينة . وكثيرا ما كانت تستعين به « جمعية الشبان المسيحية» بالاسكندرية هو وشقيقه الكاتب صديق شيبوب فى نشاطها الثقافي كالقاء المحاضرات العامة ، واقامة المهرجانات الادبية ، كمهرجان الربيع الذي اسهم فيه خليل شيبوب بقصيدة بديعة نشرت بمجلة الرسالة . ومطلعها :

مهرجان الربيع فى الايام　　فرحة الكون تجتلى كل عام
وشباب الدنيا يجدده الدهـ　　ـر بفيض من الحياة سجام

وكان خليل شيبوب قد تزوج عام ١٩٣٢ — وهو فى الاربعين — ولم يترك ذرية — ولم تشغله حياته العائلية الهادئة عن ذلك النشاط الثقافي والاجتماعي ، او عن نظم الشعر الرائع الوافر ..

وفى عام ١٩٣١ ــ وقد مضى على ذلك ثلاثون سنة ــ اجتمع فريق من ادباء الاسكندرية من شعراء وكتاب وصحفيين ، ورأوا ان يؤلفوا هيئة ادبية تجمع شملهم ، وتنشر نتاجهم على الناس فى مطبوعات او محاضرات ، فتخدم بذلك الحركة الثقافية بالمدينة . وتأسست هذه الهيئة فى ذلك العام ( ١٩٣١ ) ووضعت لها قانونا ونظاما ، وسميت « جماعة نشر الثقافة بالاسكندرية » . واختير الشاعر خليل شيبوب رئيسا لها . ولما تخلى عن رئاستها بعد ثلاث سنوات ظل بها العضو العامل الملهم الى آخر حياته ..

ولم يفتر نشاط هذه الجماعة الا فى سني الحرب العالمية الثانية بسبب الغارات الجوية على الاسكندرية وغيرها . ثم استردت نشاطها بعد انتهاء تلك الحرب وظلت هذه الجماعة عاملة على نشر الثقافة بالمدينة بشتى الطرق .. فهي تارة تدعو مشاهير الادباء من مختلف البلاد الى محاضرات عامة يلقونها فى مقر الجماعة .. وهي تارة اخرى تقيم المهرجانات الادبية ، كالمهرجان الذي اقامته لابن خلدون وكمهرجان الربيع ( وفى هذه السنوات الاخيرة مهرجانات : شوقي ، وحافظ ابراهيم ، والبارودي ، وصلاح الدين الايوبي ) ..

واصدرت هذه الجماعة مرة عددا خاصا من صحيفة « السياسة الاسبوعية » ، قام اعضاؤها بتحريره ، فسجلوا به الكلمات التي القيت فى « مهرجان ابن خلدون » ومقالات غيرها .. ثم انشأت الجماعة فصولا تلقى فيها الدروس ــ شبيهة بالجامعة الشعبية اليوم .. تطوع بعض الاعضاء الى تدريس التاريخ العربي ، والادبين العربي والفرنسي بها . وكانت فى نهاية العام تعقد امتحانا وتوزع الجوائز .. وكان خليل شيبوب يدرس بها الادب الفرنسي ويدرس اخوه صديق شيبوب تاريخ العرب ... وهكذا

وكانت هذه الجماعة ــ ولم تزل ــ تطبع الكثير من محاضرات اعضائها ومقالاتهم وشعرهم فى مجموعات او فى نشرات .. وما برحت « جماعة نشر الثقافة » بالاسكندرية عاملة نشيطة ، تضم عددا من ادباء الثغر ، ويرأسها اليوم صديك شيبوب ، الكاتب الصحفي ، والمحرر بجريدة « البصير » .

* * *

وكان خليل شيبوب ــ رجل المجتمع العامل ، كثير الاصدقاء والخلان .. معروفا لدى الطبقات المثقفة خاصة بالاسكندرية ، ولدى الكثيرين فى بلاد الشرق العربي .. ومن لم يره منهم فقد عرفه من شعره ونثره ..

ولا اخاله كان يستمتع باوقات الفراغ ، يقضيها مع نفسه وشعره الا فيما ندر . فكنت تراه بين اصدقائه فى الاندية والجمعيات والمحافل الادبية ، واخيرا فى بعض « كازينات » الشاطىء المطلة على البحر .. او فى بيته الانيق بحي الابراهيمية بالرمل . او فى «الفيلا» التي كان يستأجرها فى الصيف بسيدي بشر .. وكنت تراه احيانا فى بعض امسيات الصيف فى «كازينة بترو» فى «السراي» بالرمل ، جالسا فى ندوات ادبية خاصة مع خليل مطران ، واخيه صديق شيبوب ، والادباء حنا سركيس ، وجبران النحاس ، وعبد اللطيف النشار ، وفيلكس فارس ، وبشر فارس ، وعثمان حلمي ... وغيرهم من ادباء الاسكندرية .. او من زائريها ..

وفى فجر شبابه كان شيبوب ومطران وانطون الجميل « صاحب مجلة الزهور » ، يترددون على محل صغير لبيع السجاير ملاصق لفندق « سيسيل » بالاسكندرية ، فقد كان صاحب هذا الدكان شاعرا يبشر شعره بمستقبل عظيم ذاع فيما بعد فى المهجر الامريكي وفى بلاد الشرق .. هو الشاعر ايليا ابو ماضي ...

* * *

عرفت خليل شيبوب قبل ان اراه .. وذلك فى ديوانه « الفجر الاول » المطبوع عام ١٩٢١ ــ وكثيرا ما نعرف كبار الناس من اثارهم قبل ان نقابلهم .. ولا سيما اذا كانوا شعراء .. فالشاعر يفشي دخيلة قلبه فى شعره مهما لجأ الى الرمز او الكناية .. فهو يحدثك عن امله ويأسه ، وحبه وبغضه ، وقوته وضعفه .. ويصور لك حياته بل وحياة من يعرف من الناس ، فى شريط سينمائي مزدان بالالوان والاخيلة .. وكنت طالبا بالمدارس ، واغراني يوما صاحب مكتبة « العرب » بالقاهرة ــ يرحمه الله ــ على شرائه ، فاحتفظت به الى الان .. وكنت اتصفحه بين الحين والحين ، وازداد تفهما لمعانيه على مر السنين ..

فى هذا الديوان عرفت شيبوب الشاعر والرجل .. المحب لصور الجمال ــ حيه وجماده ، المترنم بالحب ، المتغزل بالحسان ، المتارجح بين الامل والياس ، الباكي الشاكي ، والضاحك الساخر ، الراتع على شواطىء الاسكندرية ، المتأمل امام البحر وامام القبر ، الداعي الى الرحمة والسلام والتسامح ، الحائر المتسائل ، المتعلق بين الشك واليقين، الباحث عن معنى الحياة ، وحلول المعضلات، الغائص فى عواطفه الذاتية يحللها ويفلسفها ..

وسمعته ينشد :

**رأيت نساء كالصباح صباحة ... ترف عليهن البشاشة والبشر**
**مشين خفافا لاهيات كأنما ... يشق عمود الليل فى المشرق الفجر**
**ومسن بقد الخيزرانة ناعما ... ورحن بثغر الاقحوانة يفتر**
**لقد كن للقلب المقطع بلسما ... ويسرا لذى عدم اذا ذهب اليسر**
**مررن كما مر النسيم مهينما ... ونمن فلا عرف هناك ولا نكر**
**وزال عبير كن ينشرن طيبه ... وصرن ترابا.. هكذا يذبل الزهر!**

ويناجي البحر :

**جلست وجفني جاريات سواكبه ... اليه اشاكي الاسى واعاتبه**
**مواثيق ايام الشباب الذي مضى ... به الدهر وهاب الشباب وسالبه**
**نفضت يدي الا من الشعر انه ... عزائي اذا ما الدهر جلت نوائبه**
**احلى به الآمال ثم اعيدها ... عرائس يجلوها الهوى وغرائبه**
**ففيك لقلب المستهام استراحة ... اذا عثرت اماله ورغائبه**

ولما انتقلت الى الاسكندرية ، سنحت بعض الفرص للقاء الشاعر ، والتحدث معه ، والاستماع الى محاضراته .. ودعوته مره مع بعض الادباء الى منزلي فجاء في الموعد ، وتشعب الحديث في كل واد .. ثم دعانا بدوره الى مصيفه « بسيدي بشر » في احدى امسيات اغسطس عام ١٩٥٠ .

من كان بين السامرين الضاحكين في « فرندة » الفيلا الجاثمة على رمال « سيدي بشر » في تلك الليلة الصائفة ، المقمرة ، يظن ان ملك الموت كان ايضا بين الجالسين ، يضحك ، ولا تراه عين ولا تسمع ضحكاته اذن ؟!

كنا خمسة او ستة دعاهم خليل شيبوب لتناول الشاي في تلك الصومعة .. وجلسنا في الشرفة المطلة على الاشجار والرمال .. وكانت الليلة صافة مقمرة .. والنسمات لطيفة مسكرة .. وتشعب الحديث وطاف في كل مدار — في الكتب والكتاب ، والشعر والشعراء ، والراحلين والاحياء .. وراح خليل يقص الكثير من النوادر والذكريات .. كان محدثا لبقا ، قوي الحافظة .. ثم انشدنا شيئا من شعره في صوت هادىء رائق .. ومن ذلك :

**يا حسن هذي الليلة القمراء ممزوجة الظلام بالضياء !**
**مثل امتزاج الياس بالرجاء والبحر بالسكون والصفاء !**

ثم قمنا لنتمشى في قيافي « سيدي بشر » في رعاية القمر وربة الشعر .. نتحدث ونضحك ..

من كان يستطيع ان يستشف الغيب المحجب ، فيعلم انه لن تنقضي خمسة اشهر على تلك السهرة ، حتى يفارقنا خليل شيبوب .. ولا يعود الى هذا المصيف ، ولا الى هذا العالم كله .. وتصبح حياته صفحة من الذكريات ..

مرت بخاطري ذكرى تلك الليلة ، او ذلك الحفل التوديعي ، بينا كنت أسير مع الموكب الصامت الحزين في امسية ٦ فبراير عام ١٩٥١ ، فيما بين منزله بالابراهيمية وبين مثواه الاخير بالشاطىء !.

كان من السهل ان تدرك — اذا لم تكن قد عرفت هذا الرجل — من ذلك العدد الوافر من الاصدقاء المطرقين المحزونين الذين شيعوه في ذلك المساء ، وممن جاءوا ليرثوه في ذكراه السنوية في الاندية ، ويذكروا مناقبه صادقين ، ان هذا الرجل كان مقربا الى قلوب الناس .. ولعله لم يعرف طيلة حياته تلك الخصومات والمهاترات ، التي عرفها كثيرون غيره من رجال القلم .. فكانت سفينة حياته تسير به خلال اعوامها الستين في بحر هادىء ، قليل العواصف .. ولهذا خرج شعره شبيها بنسمات البحر في الليالي الصائفة .. ولهذا ايضا لم يلجأ المصورون لمثل هذه الحياة الى غير الالوان الهادئة والاضواء الصافية !..

الاسكندرية — **نقولا يوسف**

# مـأسـاة حسنـاء

**كان يحبها وتحبه ، وكان يمني نفسه بزواجها ،ولكن الدهر القاسي ضرب بينهمابجفوة عميقة!!**
**فلما خطبت لغيره ثارت فيه احط نوازع الانسان : من حقد وكراهية وحسد ،**
**فترصدها فى ليلة زفافها ، وسكب على وجهها ماء النار !! فتركها**
**ـ كما روت الصحف ـ فى طرفة عين مسخا مشوها**

يا مذل الجمال عشت ذليلا  وحملت الحياة عبئا ثقيلا !!
الجنايات فى الطباع ، ولكن  ما راينا لما جنيت مثيلا
هيكل من محاسن شاده المبـ  ـدع غادرته كثيبا مهيلا
روض حسن يندى اريجا وظلا  تركته يداك قفرا محيلا
درة من عقائل البحر عذرا  ء هي اليوم لا تساوي فتيلا
يا لحاك الذي اقام من الحسـ  ـن على صنعه الجميل دليلا
انت «قابيل» ذلك العصر لؤما  ليت « حواء » لم تلد قابيلا
ليت حواء لم تلد ذئب سوء  ليس ترضى به الذئاب سليلا

* * *

لهف نفسي على غزال ربيب  كان ملء العيون عرضا وطولا
لهف قلبي على مهاة حجال  تركتها حوادث الدهر « غولا »
لهف عيني على جبين صقيل  لم يعد ناعما ولا مصقولا
لهف شعوي على محيا قسيم  يمنح النفس نظرة وقبولا
كان صبحا زاهي الشعاع ، وبدرا  يأفل البدر ، وهو يأبى الافولا
لو رآه الحزين سري عنه  وانثنى بالفؤاد رطبا بليلا

* * *

الشباب الطروب بات حسيرا  والجمال العزيز صار ذليلا
والمحيا الوضيء عاد ظلاما  واللحاظ القتول راح قتيلا
والاماني العذاب دار عليها  « زحل النحس » فاستطارت فلولا
ومجالي الافراح لم يبق منها  غير ما يبعث الاسى والعويلا
والعروس العروب ردت الى البيـ  ـت تجر الهموم فيه ذيولا
البستها الايام ثوب حداد  كان من حلة الزفاف بديلا
تتجافى عن المرايا ، وكانت  بكرة ـ تستشيرها ـ واصيلا
حذرا أن ترى خميلة حسن  رعت النار زهرها المطلولا
ومشت فى اديمها الناعم البض  فما غادرته الا طلولا
واستباحت فرعا من التبر اصفى  كان يزهو براسها اكليلا

* * *

كيف هانت عليك من كنت تهوا  ها ، فأوسعت حسنها تنكيلا
ليت كفا مدت اليها بسوء  ذهبت للسباع شلوا اكيلا

لم تكن مغرما ، ولم تك صبا ... انما كنت غاويا ضليلا
تعشق الحسن شهوة ، وتراه ... كفلا رابيا ، وخصرا نحيلا
وثديا نواهدا ، وعيونا ... موه السحر طرفها المكحولا
وترى الحب قبلة وعناقا ... ووصالا سمحا يبل الغليلا
ان من يحسب الغرام متاعا ... ليس الا على الغرام دخيلا
هو ذل ، وشقوة ، وفناء ... في حبيب تبغي اليه وصولا
كنت احرى بأن تعيش معنى ... « قيس ليلى » في حبه او «جميلا»
فاذا رحت من هواها خليا ... فلك العذر ان تكون عذولا
انما كنت تعشق الجسم لا الرو ... ح فلم تبصر الجمال الاصيلا
لو فهمت الجمال معنى نبيلا ... كنت في حبك الجمال نبيلا
هو اعلى ما في الحياة واغلى ... وهو سر اعيا مداه العقولا
انما الله في النفوس جمال ... مثلته اثاره تمثيلا
في الوجوه الملاح ، في الكوكب المشـ ... ـبوب ، في الروض ، في النسيم عليلا
كم ضللنا سبيله فلمحنا ... آية منه ، فاهتدينا السبيلا

* * *

ما على الحسن ان يعيش كما شا ... ء له الخالق الجليل ، جليلا
ليس في الحق ان ذات جمال ... عبقري تهوى غبيا جهولا
يأنف الشعر للجمال المعلى ... ان يراه للجاهلين وصولا

* * *

يا فتاة القت عليها الليالي ... فادح العبء في سنيها الاولى
سلبتها حلى الجمال ، وبزت ... شارة الحسن ، والصبا المعسولا
حمل الشعر عنك شطرا من الهم ... وسلى فؤادك المتبولا
قد شجاه ما قد شجاك ، وحق ... ان يواسي حر القريض الثكولا
انما الشعر للجمال خليل ... والخليل الوفي يرعى الخليلا

* * *

وعزاء !! فكل وجه صبيح ... منتهى حاله الى ان يحولا
كل حسن يبلى ، وكل جمال ... شعلة تنطفي قليلا قليلا
كم راينا حسناء شاهت ، وكانت ... قرة للعيون دهرا طويلا
رب طرف بلحظة منه يردي ... ثلم الدهر سيفه المسلولا
رب خد ينمي الى الورد لونا ... واريجا قد بات يشكو الذبولا
رب ثغر يزري بثغر الاقاحي ... جف منه الجنى ، وكان شمولا
ربما كنت بالملاحة تشقيـ ... ـن وكم اتعب الجمال جميلا


القاهرة

**علي الجندي**

**عضو لجنة الشعر بالمجلس الاعلى**


كل شعر ينشر في صحف ومجلات الاقطار الشقيقة بدون هذا العنوان ، فهو لسميي الشاعر السوري المبدع علي الجندي .

# في بواعث البغاء

بقلم الدكتور عدنان الخطيب

البغاء، معرفا بانه الاتصال الجنسي غير المشروع، ظاهرة اجتماعية عميقة الجذور، رافقت البشرية منذ اقدم عصورها، لانها حتمية الوجود في اي مجتمع انساني، اذ هي تتصل بالغريزة الجنسية في الانسان، وباندفاع الرجل او المراة في اشباعها في فترة من فترات عمرهما، على ان الحكم على البغاء في تاريخه الطويل برفقة المجتمعات البشرية في العصور الغابرة، يختلف باختلاف تلك المجتمعات واختلاف نظرتها الى العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة في صورها الاجتماعية المتعددة.

والبغاء، معرفا بانه مهنة يتكسب بها، اصبح في كثير من المجتمعات تجارة، اللذة الجسدية بضاعتها، وجمع المال غايتها، لها اسواقها ولها وسطاؤها الجشعون، لا يشبعون من اكل لحوم ابناء جلدتهم نيئة، لا يردعهم عن عملهم خلق ولا دين، ولا يخيفهم قانون ولا جزاء، وبهذا غدا البغاء مشكلة من المشاكل الاجتماعية، تهدد بخطرها الاخلاقي والنفسي والصحي اي مجتمع تبرز فيه او تشيع.

والبغاء، وقد تطورت المجتمعات، وتكاثف السكان، وتقاربت المسافات بين انحاء العالم، اصبح من المشاكل التي يجند، في سبيل دراستها ومعرفة عواملها، العلماء في مختلف الدول، يساعدهم الخبراء والباحثون والاحصائيون مستهدفين من دراساتهم القاء الاضواء على بواعث المشكلة وعوامل شيوعها ووضع ما يرونه من توصيات ونصائح، الاخذ بها يدفع خطرها او يقضي عليها، ولقد اخذ المشرعون في بعض الدول بنصائح العلماء وتوصياتهم، ولكن النتائج اختلفت في هذه الدول باختلاف مدى الاخذ بعلاج المشكلة، ونوع التدابير التي امكن تحقيقها، ومدى استجابة الناس لها بسبب ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية، وكاد البغاء يختفي، الى حد كبير، في بعض الدول، بينما لم تبلغ التدابير المتخذة في بعض اخر بعض ما استهدفته او حاولت الوصول اليه.

اني، وانا اشيد بجهود العلماء الذين درسوا مشكلة البغاء، والقوا الاضواء على عواملها واسباب شيوعها، احب ان اؤكد، وقد اتجه بعض العلماء، في تفسير عوامل البغاء وتحليل الدوافع اليه، الى وجود نقص في تكوين المرأة البغي من الناحية العضوية او النفسية، ان المرأة بطبيعتها وطبيعة الوظيفة التي هيئت لها، لا تخلق بغيا ولا تستسيغ البغاء مهنة ومتكسبا، اذا لم يدفعها الرجل الى ذلك دفعا، واذا كان النقص في تكوين المراة، وهي كائن حي لا ينجو من المرض ولا يسلم من الانحراف، من العوامل التي تؤهلها للبغاء، فان انانية الرجل وحدها، اشد اثرا في دفع المراة الى البغاء من ما هو كامن في جسمها او نفسها، والذي لولا رجل في حياتها لما ظهر ونما.

ان ظهور البغاء في مجتمع من المجتمعات، حصيلة عوامل متعددة، شأن البواعث التي تدفع المراة لاحترافه مهنة تتكسب منها، غير ان العوامل الاجتماعية في رأيي اشدها اثرا في ذلك، فالبغاء كمشكلة تهدد كيان مجتمع ما، مرتبطة ارتباطا وثيقا، بمستواه الحضاري وعدد سكانه وكثافتهم وطبيعة اقليمه الجغرافي، وبالحالة الاقتصادية والمعاشية التي يقوم عليها، وبمدى متانة الروابط الاسرية وبمركز المراة ومكانتها فيه، وبموقف القانون او الاعراف والتقاليد في ذلك المجتمع من نصيبها في الميراث وحقها في التملك وطلب النفقة، وبالمستوى الاخلاقي عند الناس ومقدار محاباتهم الرجل في الواجبات الاجتماعية والاخلاقية.

انا لا احب البحث في العوامل التي توجد مشكلة البغاء في مجتمع ما، او في البواعث التي تدفع المرأة لاحتراف البغاء، انما احب معالجة عامل يتصل بتطبيق القانون في ضوء نصوصه الحاضرة، سواء في اقليمي الجمهورية العربية المتحدة او في الدول الاخرى، ولا بد لي للتوصل الى الغاية التي انوخاها، من استرعاء الانتباه الى اسلوب من اساليب البحث والدراسة قد يفيد في انارة جوانب من هذه المشكلة الاجتماعية، تساعد على وضع الحلول العملية لدفع خطرها والقضاء عليها او الحد منه، فقد درج العلماء والباحثون على دراسة الاوضاع المختلفة للمجتمع الذي تفشى فيه البغاء، والعوامل التي ادت الى هذا التفشي او ساعدت عليه، فاذا ما توصلوا الى ان عاملا معينا يعتبر من بواعث انتشار البغاء، نصحوا باتخاذ التدابير التي تقضي علبه او تخفف من اثره في نشوء الخطر الوبيل، وانا لا انكر فضل هذه الطريقة، او اجحد قيمتها، انما اريد الاستعانة، في الوصول الى الغاية نفسها، بدراسة مقومات المجتمعات التي لم يظهر فيها البغاء او التي لم تبلغ فيها مشكلته درجة الوباء او درجة الخطر يهدد افرادها في اخلاقهم وصحتهم، واسرها في الروابط تشدها بنيانا متينا تعتز به، وتدفع عنها غائلة الاعداء وكيد الطامعين والمستثمرين.

واذا عرفنا العوامل التي حالت دون ظهور البغاء، او دون تفشيه كوباء خطر يستعصي على المكافحة في مجتمع ما، امكن العمل على اصلاح مجتمعاتنا وتقويمها بحيث

---

* قدم الدكتور عدنان الخطيب عضو المجمع العلمي العربي، والمستشار بمجلس الدولة، واستاذ القانون الجزائي بكلية الشريعة في جامعة دمشق، قدم هذا البحث الى الحلقة الاولى لمكافحة الجريمة للجمهورية العربية المتحدة المنعقدة في القاهرة من ٢ـ٥ يناير ( كانون الثاني )١٩٦١

تمتنع على الوباء يقوضها او يفتك فيها ، ولا فرق بين ان يكون ذلك المجتمع محل الدراسة من المجتمعات المثالية من جوانبها كافة ، او من حيث مشكلة البغاء نفسها ، وسواء أكان من مجتمعات حضارتنا الغابرة يوم كانت الفضيلة تحكم ، والعدل يسود ، ام كان من مجتمعات ريفنا الطاهر ، او مدننا الصغيرة التي لم تلوثها ادران المدينة المعاصرة ، ومخاطر الاختلاط بالغرباء والجنود وطلاب الجامعات ، او التي لم تبهر فيها انوار الحضارة الزائفة ، او تجرف لذائذ العيش الرغيد الاغرار من الاغنياء وذوي الدخل الرتيب ، او كان من المجتمعات الاجنبية عنا التي رأينا قادتها ينجحون فى القضاء على البغاء ، او مكافحته والاقلال من مخاطره ، او قرأنا عن نجاحهم فى ذلك او سمعنا به .

نظرة واحدة نلقيها على المجتمع الاسلامي ، فى العصر الاول للاسلام ، والمجتمع الاسلامي مجتمع انساني لا يخلو من بذور البغاء ، ولا مفر لبواعث احتراف البغاء فيه من الوجود ، نجد ان الدولة بتشريعها العادل ، وبادارة عمالها الحكيمة ، وباخلاق الناس وتمسكهم بالفضائل وحب الخير، وصنع المعروف ، وبعدهم عن الشر واقتراف الاثم والعدوان وعد محاباتهم الرجل القوي على حساب المرأة الضعيفة ، استطاعت ان تئد تلك البذور والبواعث من ان تعمل عملها الخبيث ، فلم يكن بغاء ولا كانت بغايا ، حتى البغاء بمعناه الواسع فى اقتراف الزنى والاتصال الجنسي غير المشروع ، كان مجرد اندفاعات فردية ، يرجع اكثرها الى الانحراف الخلقي او النفسي ، او الميل الى الاجرام والاثام ، او حب الاستهتار والتحلل من قيود الفضيلة والاخلاق ، على انها لم تكن ظاهرة تشكل خطرا او تهدد كيانا .

لقد تركت لنا كتب التاريخ والفقه صورة ذلك المجتمع واخبار تلك الاندفاعات ، وانا اجتزأ من كل ما فى تلك الكتب بقصة وببعض البادىء ، تؤيدني فيما اهدف اليه ، وتنير السبيل الذي نسعى فيه ، ففي السنن للبيهقي عن ابي عبد الرحمن السلمي : اتى عمر بامرأة جهدها العطش فمرت على راع ، فاستسقت فأبى ان يسقيها الا ان تمكنه من نفسها ، ففعلت ، فشاور الناس فى رجمها ، فقال علي : هذه مضطرة ، ارى ان يخلى سبيلها ففعل ، قال الامام محمد بن قيم الجوزية : « والعمل على هذا لو اضطرت المرأة الى طعام او شراب عند رجل فمنعها الا بنفسها ، وخافت الهلاك فمكنته من نفسها فلا حد عليها ، فان قيل : فهل يجوز لها فى هذه الحالة ان تمكن من نفسها ، ام يجب عليها ان تصبر ولو ماتت ؟ قال الامام هذه حكمها حكم المكرهة على الزنا ، التي يقال لها ، ان مكنت من نفسك والا قتلتك ، والمكرهة لا حد عليها ، ولها ان تفتدى من القتل بذلك ، ولو صبرت لكان افضل لها » (١)

وفى مختصر الفتاوي المصرية للامام ابن تيمية (٢) : ( ومن يخاف من افساده يفعل به الامام ما يرى فيه المصلحة ، من نفيه او حبسه ، كالقوادة التي لا تتوب ، او ينقلها عن الحرائر وغير ذلك مما يراه ، وقد كان عمر (رض) يأمر بالاعزب ان يسكن بين المتأهلين ، وكذلك فعل المهاجرون لما قدموا المدينة ، وفى الصحيحين : « ان النبي (ص) نفى المخنثين وامر بنفيهم من البيوت خشية افسادهم للنساء فالقوادة شر من هؤلاء ) .

ونحن نستنتج من هذه القصة والاقوال كيف ينظر المشرع الاسلامي والفقهاء المسلمون ، عند تطبيق القانون وتنفيذ التدابير التي يمليها الصالح العام حفاظا على الاخلاق العامة وتحقيقا لسيادة الفضيلة ، الى الرجل والمراة كعضوين فى المجتمع ، نظرة تسوى بينهما فى الواجبات كما سوت بينهما فى الحقوق ، واذا كان لا بد من التفريق بينهما فى الواجبات ، كما دعت المصلحة الاجتماعية فى التفريق بينهما فى بعض الحقوق ، فالمراة اولى بالرعاية لضعفها ، واحق بالحماية لقصورها عن الرجل فى حماية نفسه وحقه .

فهل نحن فى مجتمع يسوي بين المراة والرجل فى الحقوق، او يعدل بينهما فيما يلقى على كل منهما من تبعات وواجبات، اني اود الاجابة على هذا التساؤل ، بالقاء ضوء على ناحية قانونية تتصل بتطبيق النص الذي يعاقب على اقتراف جريمة البغاء ، وانا أؤكد ان تطبيق النص على الصورة التي يراها بعض رجال القانون المسئولين عن تنفيذه من بواعث انتشار البغاء واسباب صعوبة استئصاله .

ان القانون فى الاقليم السوري ، كما فى الاقليم المصري والبلاد العربية وحتى الاجنبية ، يعاقب ( من يتعاطى الدعارة او البغاء السري ... ) او انه ، على الاقل لا يسمح بتعاطيه فى محلات معينة . والتعاطي لغة التناول ، ويفيد

(١) انظر الطرق الحكمية ص٥٣ طبعة القاهرة . (٢) تأليف بدر الدين البعلي ص٤٩٧ مصر ١٩٤٩ (3) pratiquer . (4) la prostitution

(٥) انظر شرحنا لقانون العقوبات السوري « القسم الخاص » م٥٠٩ ج٢/٣ ص٢٤٣ دمشق ١٩٥٣ (٦) انظر « شرح قانون العقوبات » م٣٣٨ ن٣ من الطبعة الجديدة باريس ١٩٥٦ لـ Garçon

(7) complice. (8) auteur

(٩) انظر «المطول فى القانون الجزائي» ج٥ ن٢١٦٢ ص٥٨٤ لـ Garraud

(١٠) انظر المادتين ٤٧٣/٤٧٤ من القانون السوري والمادتين ٤٨٧/٤٨٨ من القانون اللبناني . (10) le co-auteur

(١١) ذهب بعض شراح قانون العقوبات هذا المذهب وبه اخذت بعض المحاكم فى الاقليم السوري . (١٢) انظر «المصدر رقم ٩ السابق » ج٥ ن٢١٦٢ ص٥٨٦ ــ والمصادر التي اشار اليها فى الهامش رقم ٣٦ والمصدر التالي ذكره . (١٣) انظر « المصدر رقم ٦ السابق » م٣٣٨ ن٦٦ فى الطبعتين . (١٤) القضاء فى الاقليم المصري لا يعاقب الشريك فى هذه الحالة . (١٥) لقد انتهت الحلقة الى توصيات هامة فى مشكلة البغاء اولها ضرورة « المساواة فى العقاب بين مرتكب البغاء وشريكه فى الجريمة»

معنى الاخذ والعطاء ويقابله بالفرنسية فعل(٣) ويفيد معنى الممارسة والتكرار ، والدعارة والفسق والفجور ،والداعرة من تسلم نفسها للرجال يفسقون بها ، والبغـي الزانيـة الفاجرة ، والبغاء(٤) عند رجال القانون ، « اباحة المـراة نفسها لكل راغب لقاء اجر » او هو « تلقي الافعال الجنسية غير المشروعة من قبل الغير تحقيقا لشهواته ، سواء اكان هذا التلقي يحقق الرغبات الجنسية بالتقابل ام لا يحققها(٥) » وهو بهذا التعريف يشمل النساء والغلمان الذين يتعاطون الدعارة تحقيقا لشهوات الغير .

وكما ان القانون يعاقب على تعاطي البغاء ، يعاقب عـلى اقتراف الزنى ، والزنى فى القانون اقتراف المحصن بالزواج جريمة الاتصال الجنسي بغير زوجه .

ومن المتفق عليه بين علماء القانون الجزائي ، ان جريمة تعاطي الدعارة كجريمة الزنى ، لا يتم الركن المادي فيهمـا الا بفعل شخصين معا ، وان جريمة تعاطي الدعارة لا تشمل الا الانسان الذي يتلقى الفعل الجنسي من انسان اخر ،بينما جريمة الزنى لا تشمل الا الزوج الذي ينتهك حرمة عقـد الزواج بفعلته رجلا كان او امراة (٦) ، اما الاخر فهو مجرد شريك اومتدخل فى الجريمة (٧) ، وقد وجد من يقول بان الزاني بالمراة المتزوجة يعد فاعلا اصليا (٨) فى جريمة الزنى، لانه اقترف معها الافعال المكونة للجريمة (٩) وقد وصف بعض المشرعين رفيق الزوج فى الاثم بشريك الفاعل الاصلي (١٠) وقد جـاء النص فى اغلب القوانين يعاقـب شريـك الزانية دون شريكة الزاني فى منزل الزوجية ، اما فـي جريمة الدعارة فلم يتطرق القانون الى النص على عقاب من يقترف الجريمة من اجل تحقيق شهواته ورغباته فى الفسق والفجور ، فهل مسلك القانون هذا ، يفيد ان ينجو هـذا الداعر من العقاب ؟

اننا لسنا من القائلين باعتبار من يرتكب جريمة الدعارة تحقيقا لشهواته ، فاعلا اصليا فى الجريمة وهو الـذي اشترك فى ابراز عناصر فعلها المادي الى حيز الوجود ، او انه ساهم مباشرة فى تنفيذها (١١) لان الجريمة التي اراد المشرع معاقبتها ، جريمة ممارسة عمل او مهنة ، لاجريمة اقتراف الفعل المادي بذاته ، ولكن هذا لا يعني اننا نشايع من لا يرى فى فعل الداعر جريمة يعاقب القانون عليهـا او من سكت عن هذا الامر فلم يبد رايا فيه ، انما نحـن نقول بان هذا الداعر يستحق العقاب على فعلته ، عقـاب الشريك او المتدخل فى الجريمة لا عقاب الفاعل الاصلـي لوحده او مع شريـك .

ان الشريك فى الجريمة ، بصورة عامة ، او المتدخل فيها كما يسميه بعض المشرعين ومنهم المشرع السوري ، هـو من يساعد الفاعل او يعاونه على الافعال التي تهيىء الجريمة او تسهلها او تتم ارتكابها ، وعقوبة هذا الشريك قد تعادل عقوبة الفاعل الاصلي ، اذا كانت الجريمة لولا اشتراكه او مساعدتـه مـا ارتكبت ، على تفصيـل يختلف باختلاف النصوص ، محله شروح قانون العقوبات .

واذا كنا فى شرحنا لقانون العقوبات السوري ، بينـا الحكم القانوني فى هذه المسألة رغم عدم ورود النص الصريح فيها ، فاننا هنا نؤكد ان هذا الحكم الذي نقول به ، لا يؤثر عليه اختلاف النصوص فى القوانين كافة ، الا اذا حوت نصا صريحا يعارضه ، واذا كان بعض شراح القانون الجزائي ، وقد راوا قانون العقوبات ينص على عقاب شريك الزوجـة الزانية ، ولا ينص على عقاب شريكة الزوج الزاني ، ذهبوا الى ان المشرع بمسلكه هذا لا يريد عنـد تطبيق النص الرجوع الى القواعد العامة فى الاشتراك ، وقالوا بعدم عقاب شريكة الزوج مقترف جريمة الزنى فى منزل الزوجية (١٢) ، فان القول المعتمد فى الفقه والقضاء ، فى البلاد التي حكـم القانون فيها يماثل الحكم الذي ذكرنا ، يوجب تطبيـق القواعد العامة فى الاشتراك على شريكة الزوج فى الزنى ، لانها باشتراكها ساعدت الزاني فى تكـوين جريمته (١٣) ، فكيف الحال اذا كان القانون ينص على عقاب شريكة الزاني كشريك الزانية ، كما فعلت بعض قوانين العقوبات ومنها القانون السوري والقانون اللبناني .

قد يبدو للبعض بأن المشرع لو اراد معاقبة الشريـك فى جريمة الدعارة او البغاء، لنص على ذلك صراحة كما فعل فى جريمة الزنى ، اذ نص على معاقبة شريك الزوجة الزانية دون شريكة الزوج الزاني ، او نص على معاقبة الشريـك فى الحالتين كما فعل المشرع السوري ؟ وهذا اعتـراض وجيه ولكنه يصطدم بالقواعد العامة الجزائية التي تعاقب على الاشتراك فى الجريمة ، اما الاستنتاج من وجود نص على معاقبة الشريك فى جريمة الزنى ، ان المشرع لا يريـد معاقبة الشريك فى جريمة الدعارة ، فليس استنتاجا سليما لان للنصوص فى جريمة الزنى حدودا تمنع مثل هـذا الاستنتاج ، لما لها من صفة خاصة متصلة من مساسها بكيان الاسرة قبل مساسها بالمجتمع .

ونحن اذ نرى فى جرم الدعارة او البغاء جرما من اخطر الجرائم المفسدة للاخلاق ، الهادمة لكيان المجتمع ، نقـول بضرورة المعاقبة على جريمة الاشتراك فيه ، تطبيقا للقواعد العامة وذلك فى سبيل نجاح مكافحة الرذيلة وصيانة المجتمع من معاول الهدم تعمل فيه .

قد يرد على راينا بعض رجال القانون مستندين الى راي بعض شراح القانون الجزائي الفرنسيين ، بان مرتكب اثم الدعارة لا يمكن اعتباره شريكا للداعرة ، لانه يمثل فى هذه الجريمة « المجنى عليه » وهذا راي غير سليم ، لان الداعر ليس قاصرا تجدر حمايته ، وقد حمى القانون الاحداث من الدعارة بالفعل ، انما العقاب على جرم الدعارة قصـد به حماية المجتمع ، واذا كانوا لا يريدون الاقتناع بهـذا ، فهل ما يمنع من اعتبار المجنى عليه شريكا فى الجريمـة ،

# الهجيرة

شوب من النيران يتسع     عن زاخر يهوي ويرتفع
فى كل افق من غواربه     لجج تموج وجامح يقع
وعلى الثرى شعل مؤججة     تنداح مائجة وتندفع
لجج ومن عجب دوائرها     عن جامح النيران تندلع
عب الثرى منها على ظمأ     جرعا سلاف كؤوسها الوجع
جرع تكاد على الظمىء دمن     عن وردها تنأى وتمتنع
ان مج مشبوب اللظى ظمىء     فالموت لا يحلو وينتجع

تلقى الهجيرة سال ذائبها     عن صاخب فى لجه الفزع
وجرت طلائعها ومن عجب     تنأى مبعثرة وتجتمع
فى كل شطر دونها علم     فوق الثرى للرعب مرتفع
فاذا الخمائل اطرقت حذرا     مما أست وسكونها جزع
اغصانها مدت على ضجر     كف السقيم يهيجه الصرع
وترنحت تهوي مؤرجحة     فوق الثرى حينا وترتفع
ولوت باعناق لها برمت     بلوافح للنار تلتمع

وترى الحمائم فى خمائلها     اجفانها بالدمع تنهمع
ضربت بقادمة على ضجر     من غصة تفري وتقتطع
ورنت الى الآفاق جازعة     من مائج للشمس يتسع
قد شفها ان ابصرت بددا     آمالها عن حالق تقع
ورياضها راحت على ضجر     فى شملة الاعياء تلتفع
سكتت عن الترجيع مشفقة     والداء ملء الصدر يصطرع
ولرب صمت من اخي كمد     اعجازه كالسحر ممتنع

والماء فى احواضه برم     يجري على قدر وينقطع
ينساب كالافعى على حذر     فى حوضه ريثما ويكتنع
والعشب منطرح على قدم     حول الغدير وخده ضرع
اغفى يمني النفس فى حلم     لو كان فى الاحلام منتفع
ويمد من شح ومتربة     كفا يثير شجونها الطمع
والشمس فى الآفاق ما فتئت     ترمي بذائبها وتنهمع
ينداح غامرها بمنهمر     من هاطل ازباده لمع

دمشق     عدنان مردم بك



كاني بهم يقولون : « نعم ... الا اذا تدخل المشرع » .

واذا كنا ندعو الى هذا الراي فى الاقليم السوري ، منذ صدور قانون العقوبات الذي وضع سنة ١٩٤٩ للميلاد ، فان اكثر رجال النيابة العامة ومساعديهم من رجال الشرطة لم يبدلوا تقاليدهم فى مكافحة البغاء ، من غض الطرف عن الداعر والقاء القبض على شريكته الداعرة ، اما القضاء السوري (١٤) ، فكان مضطربا فى احكامه ، واكثر المحاكم لا تعاقب شريك من يتعاطى الدعارة ابدا ، وبعضها عاقبه كفاعل اصلي ، وقضاء محكمة النقض لم يستقر ولكنه يميل الى عدم معاقبة الشريك اذ نجد اكثرالا حكام التي تأخذ بالرأي الاول تعود من محكمة النقض مصدقة ، ولكن احكامها مع ذلك لم تخل من تأييد راينا فى بعض الحالات ومعاقبة الداعر كالدعارة على حد سواء .

ونحن اليوم نأمل بتوصية تدعو الى اخذ الراي الذي فصلناه بعين الاعتبار (١٥) .

دمشق     عدنان الخطيب

ويمر باص آخر من باصات حي الميدان امامي ..

ويدور راسي مع دوران عجلاته وهي تدوس الارض المبللة برشات المطر الرفيقة . وتتضح كل الصور فى مخيلتي .. منذ ان وقفت امام المرآة والقيت آخر نظرة مدققة على خيالي فيها وحتى الان ..

واستسلم لدوامة التفكير : لاول مرة ارتدي فيها اليوم ثيابا احببت ان تكون لي فى حياتي . ففي صغري اشتهيت اقتناء ثوب بني اللون، وحذاء اسود ، وحقيبة يد حمراء ، وقفاز ازرق فاتح . ولكنني لم احصل عليها الا بعد مضي سنوات على زواجي . اليوم .

ويقترب باص آخر مني واقرا : الميدان ..

ويمضي الباص كسابقه ..

وتفوتني فرصة جديدة للوصول الى بيتي . هذا هو وقت عودة زوجي « جلال » الى البيت . اما طفلي « سمير » فان عينيه الصغيرتين لا شك تراقبان الان الباب .. والدهليز .. وكل الناس . يا له من طفل وديع .

قبل ان اغادر البيت توسل الي كي اعود مبكرة من عيادة طبيب الاسنان .. ولم افعل .

انني لم اذهب لزيارة طبيب الاسنان كما افهمته . كنت فى حاجة الى رؤية الناس فى الشوارع . وكنت فى حاجة اكثر الى رؤية عيون الرجال والنساء تتفحصني .. تتفحص ثوبي البني ، حذائي الاسود ، حقيبة يدي الحمراء .. قفازي الازرق ..

هذه الاشياء الحلوة تمنيت دائما ان تكون لي ذات يوم وانا طفلة . تمنيت ذلك لامشي بين الناس واملأ عيونهم بالدهشة : ما هذه الاناقة ؟!!

واليوم ، احسستباني قداصبحت وليمة فاخرة لتلك العيون النهمة . اكثر من شاب حاول ان يمسني او يطلق فى اذني عبارة اعجاب . وبعض الرجال كانوا يصفرون : فيؤ .. فيؤ !

ويمر باص آخر من باصات حي الميدان ..

وتدور عجلاته المسرعة ، وتنزلق على وجه الارض اللزجة المبللة برشات المطر الخفيفة ..

ويهبط ، فى نفس الوقت ، رجل مسرع الى غايته من الباب الخلفي للباص ويصطدم باحد العابرين غير متعمد . وسرعان ما يتبادل الرجلان عدة ملاحظات شديدة التوتر . ويكاد الموقف ان يتأزم بينهما . وفى اللحظة نفسها تتدخل امراة عجوز فى نزاع الرجلين الحانقين . تضع يدها على صدر الرجل الثاني : صلي ع النبي يا ابني . الدنيا رمضان والمسامح كريم .

وينتهي الخلاف دون ان يتطور الى

## طفولتي الجديدة

بقلم اسكندر لوقا

قضية .. ويتباعد من حولي ثلاثة صبية احدهم فى عمر ابني « سمير » ، وكانوا قد تجمعوا فى المكان لرؤية من سيكون الغالب، ومن سيكون المغلوب!

واشعر بارتياح كبير فى اعصابي المتعبة .. واغوص فى قلب مشكلتي .

لا اثر لباص مدحت باشا ..

كان يجب الا اخرج من بيتي قبل الظهر . هل اكذب على زوجي عندما اعود الى البيت واثبت حكاية طبيب الاسنان بطريقة ما ؟ سافعل ذلك عندما يكون « سمير » على مقربة منا فقط ، ثم اقول له الحقيقة : اردت ان يراني الناس فى ثوبي الجديد البني . كانت امنيتي ان اظهر بينهم بهذا الثوب .. وهذا الحذاء .. وهذه




الحقيبة .. وهذا القفاز . فرحتي بهذه الاشياء يا جلال عظيمة . انها فرحة الطفولة .. والصبا . بل انها فرحة العمر . لا تعاتبني .

وعندما يسالني : والثمن . من اين جئت به ؟ اقول له : كل هذا الذي تراه علي لم يكلفني سوى سبعين ليرة سورية .

واذا سالني مصرا : المهم .. هو من اين جئت بالمال .. بالسبعين ليرة سورية ؟ ابقى صامتة .

لا ادري كم من الوقت لزمني لتوفير هذا المبلغ . خمس سنوات ؟ اكثر ؟ لا ادري . شيء واحد يلذ لي ان احسه الان هو طفولتي الجديدة السعيدة !

وقد يحاسبني جلال على سلوكي كسيدة بيت كان يجب ان تكون مدبرة اكثر عندما يراني صامتة : انت تعلمين اننا فى امس الحاجة الى مثل هذا المبلغ الكبير . قسط الولد . آجار البيت عن الشهر الذي فات . دين البقال ..

ولكنني لن اجيب بحرف .. لان الحق سيكون بجانبه فى كل ما يقوله.

ويقترب باص اخر . واحاول قراءة الكلمات التي تدل على وجهته: مدحت .. مدحت باشا ..

واصعد اليه لاهثة . واقاسم احدى السيدات مقعدها الشاغر . الساعة التي تتوسط زجاج الباص الامامي تشير الى الثانية والنصف . انتهت نشرة الاخبار الثانية لهذا اليوم . وبدات صباح تغني احدى اغنياتها الرشيقة: دق الباب فتحتلو .. اهلا وسهلا قلتلو ..

زوجي فى البيت ينتظر عودتي وفى راسه الف خاطر . وكذلك ابني سمير يتساءل : لماذا تاخرت الماما ؟

كان يجب الا اخرج من البيت قبل الظهر .. لقد نسيت الوقت .. وشغلتني عيون الناس عن نفسي .. عينا السيدة الجميلة اراهما فى

المرآة امامي المثبتة فوق راس السائق. واري اشياء خليطة لاول مرة انتبه اليها : ما شاء الله . عين الحسود فيهـا عـود . لسنـا مسؤولين عن الحاجات التي تفقدداخل الباص. لا تكلم السائق . ممنـوع التدخين ومد الرؤوس والايدي من النوافذ . بلاغ الى المواطنين الكرام من ادارة المرور . الرجاء عدم وضع الاقـدام على غطاء المحرك !!

عينا السيدة لا تفارقان وجهي في المرآة . ومن حين لاخر ، تديـر السيدة راسها نحو اليمين وتدقـق النظر في شعري . ان طريقة تصفيف شعري ليست متقنة تماما ، ولهـذا لا تضاهي طريقة تصفيف شعرها ، ولكن رقبتي جميلة وليس فيها اي عيب اخجل مـنه امامها . صدري ايضا مرتفع وجميل . لماذا تنظر الى صـدري ؟

وتنزلق عيناها الـى الاسفل . حذائي جديد بيد انه ملوث قليـلا بالطين من اثر السير في الشوارع المبللة برشات المطر التي لا تنقطع .. ثـم تسترد نظراتها المدققة الـى الاعلى وتستقر بها على الحقيبة ، ثـم على القفاز . واراقبها خلسة في المـرآة المثبتة فوق راس السائق ، وافعـل ذلك بحذر شديد .. تمـاما كمـا تفعـل هي !!

لا شيء ، في اعتقادي ، حتى الان يدعوها الى هذا التصرف .. الا اذا كان الامر يعنيها اكثر مما يعنيني .. الا اذا كانت تريد الاستفسار عن اسم الخياطة التي صنعت لي ثوبي .

وتستقر عيناها مـن جديد على صـدري ..

والتفت اليهـا :

ــ هل اعجبك ثوبي ؟ اسم الخياطة ام نبيل ! وتقطن في الاليانس ..

وتبدي السيدة عـدة ملاحظات ادري الان كم هي قاسية وصحيحة. ثوبي ضيق قليلا عند الصدر . لونه لا يناسب لون الحقيبة كما لايناسب لون الحذاء ولا لون القفاز . كان يجب ان ارخي شعري بدل عقصه . جسمي، كما شهدت السيدة ، رائع ومتناسق التقاطيع ولكن ينقصني .. الذوق ! فعـلا ..

كيف لم انتبه الى مسألة الالوان هـذه ؟ والشعر ؟

وانظر ، خلسة ، الى المرآة وارى من خلال عيني السيدة مئات العيون المليئـة بالتهكم والسخرية . وارى افواها تقترب من اذني لتصرخ فيهـا عاليا : ذوق . ذوق . ذوق !

ويضع السائق قدمه اليمنى عـلى المدوس ، ويتحكم بسرعة السيرتمهيدا للتوقف في المحطة المقبلة . وينـادي قاطع التذاكر بآليـة :

ــ الاليانس .. مين نازل الاليانس؟!

واسرع في النزول من البـاص لاتوارى عـن انظار الركاب واتحاشى وخزاتها .. واود لو تخفيني الارض في جوفهـا .

وتدور عجلات الباص ..

ويدور في راسي السؤال : كيـف لم انتبه ؟ كيف لم انتبه الى هذا كله؟

وينتابني شعور غريب . ويخيـل الي بأني مجرد اعضاء مبعثرة، جمعت الى بعضها البعض في غفلة ، ثـم الصقت بالصمغ كيفما اتفق ، ورميت في الشارع لتكون اضحوكة بين الناس ..

وعلى مقربة مـن البيت اركض لاختبىء في عتمة الدهليز المؤدي اليه تطاردني عيون جاحظة مخيفة . والملم قوتي ، كل قوتي المتخاذلة ، واضعها في سبابتي اليمنى واضغط بها على جرس الباب الصامت ، واضغـط من جديدة بشدة ..

ومن بعيد اسمع وقع اقـدام متلهفة .. لكنني لا استطيع تميزها .. وفي اذني دوي سؤال متلهف : ايـن كنت ؟

دمشق — اسكندر لوقا

## فقد الصباح

سألت عنه الصباح
فقال لي : قد راح
فان تشأ ايضاح
اما ترى الارواح
امواجها من راح
فقلت لما صاح

فغص بالاتراح
وقال لي : يا صاح
وهم ثم انداح

لما افاق الصباح
ما تزول الجراح
فدربه وضاح
تلفها الاشباح ؟
ودفقها ملاح
وطال منه النواح
أتلك درب الحبيب
على جناح الطيوب ؟

وما عليه جناح
كذا تصد الملاح
وهبت الارواح
فما عرفت الطريق
وما وجدت رفيقا
كما فقدت الصباح

حمص — عبدو مسوح

# قصيدة لابن زيدون

كتب الى الوزير الكاتب ابي حفص ابن برد* :

●

ما على ظني باس     يجرح الدهر ويأسو
ربما اشرف بالمر     ء على الآمال ياس
ولقد ينجيك اغفا     ل ويرديك احتراس
والمحاذير سهام     والمقادير قياس (١)
ولكم اجدى قعود     ولكم اكدى التماس (٢)
وكذا الدهر اذا ما     عز ناس وذل ناس
وبنوا الايام اخيا     ف : سراة وخساس (٣)
نلبس الدنيا ولكن     متعة ذاك اللباس
يا ابا حفص وماسا     واك في فهم اياس
من سنا رايك لي في     غسق الخطب اقتباس
ووادي لك نص     لم يخالفه قياس (٤)
انا حيران وللسأمر     وضوح والتباس
ما ترى في معشر حا     لوا عن عهد وخاسوا (٥)
وراوني سامريا     يتقى منه المساس (٦)
اذؤب هامت بلحمي     فانتهاش وانتهاس (٧)
كلهم يسأل عن حا     لي وللذئب اعتساس (٨)
ان قسا الدهر فللما     ء من الصخر انبجاس (٩)
ولئن امسيت محبو     سا فللغيث احتباس
يلبد الورد السبنتى     وله بعد افتراس (١٠)
فتأمل كيف يغشى     مقلة المجد النعاس
ويفت المسك في التر     ب فيوطا ويداس
لا يكن عهدك وردا     ان عهدي لك آس
وادر ذكرى كأسا     ما امتطت كفك كاس
واغتنم صفو الليالي     انما العيش اختلاس
وعسى ان يسمع الدهر     فقد طال الشماس (١١)



---

* هو حفيد ابي حفص بن برد . سمي باسم جده الذي توفي سنة ٤١٨هـ . (١) قياس : جمع قوس : اقواس (٢) اجدى : نفع . اكدى : اخفق . التماس : السعي فى سبيل الرزق وغيره . (٣) الاخياف من الناس :الذين امهم واحدة وآباؤهم شتى . سراة : اشراف . خساس : حقرآء . (٤) نص : اي من القرآن والحديث الشريف . قياس : اقيسة البشر فى التشريع . (٥) خاسوا :خانوا . (٦) السامري : قصة مشهورة بالقرآن مع موسى والعجل . (٧) انتهاش : عض بالاضراس . انتهاس : عض بالاسنان . (٨) اعتساس : طواف بالليل . (٩) انبجاس :تفجر . (١٠) يلبد : يقيم على الارض . الورد : الاسد . السبنتى : الجريء . (١١) شماس : شمس الفرس شموسا وشماسا : اي منع ظهره عن الراكب .

# دراسة قصيدة لابن زيدون

بقلم محمد محمود الحسناوي

كبـا ابو وليد احمد بن زيدون الاندلسي كبوة الجواد المبـرز ، فاذا هو بعد التقلب فى اعطاف البلاط ، وفى ملاهي « ولاده » ينقلب الى طير حبيس فى سجن مظلـم ، واذا الناس الذين كانوا يلتفون حوله قد نسوه او تنـاسوه حتى « ولاده » بنت المستكفي عشيقته . وليس ابن زيدون بالشخص الهمل ، بل هو شاعر عصره فنا وظرفا ، وفارس مجتمعه حسبا وادبا ورياسة ، فليبك ما طاب له البكـاء ، وليوقع على قيثارته ما شاء له الشجن مـن اغاني الالم والهوى فى انتظار الفرج ، فما الذي كتبه الى صديقه الاديب ابي حفص بن برد ؟

## الافكـار والمعاني :

اول انطباع تخلفه القصيدة فى نفوسنا هو انزارها بلباس الرسالة الشعرية التي شق الطريق لها عمر بن ابي ربيعة وبشار بن برد من بعده حين قال :

**مـن المشهـور بـالحب — الى قـاسية القلـب**
**سـلام الله ذي العـرش — عـلى وجهك يـا حبي**

وليس غريبا ان يتسـع الشعر العربي لفن الرسائـل ، ولا غريبا على ابن زيدون ان يتوسع فى هذا الفن ، وهـو الذي جعل جميع اعماله الادبية طيلة سجنه رسائل شعرية ونثرية . لكن قصيدته هذه تمثل ارفع مثل للرسالـة الشعرية الناجحة ، لما انطوت عليه من عناصر العاطفـة والبساطة فى التعبير والصدور عن تجربة ذاتية ، ولما يلمح فيها من مقومات التقسيم المتسلسل المترابط وتدرج موجات العاطفة بالارتفاع واطرادها ، أذ نلاحظ فيها ثلاث فقرات : المقدمة والموضوع والخاتمة . وفى المقدمـة يسلي نفسـه بثمانيـة ابيات متحدثا فيها عن جراح الدهر وشفائها وعن جدوى اليأس واللامبـالاة والخمول فى بعض الاحيان لان الدهر لا بد ان يرفع قوما ويذل اخرين بيـن حين واخر ، والحيـاة لباس يبلى مع الايام .. ويصل الـى موضوع الرسالة ليتحدث عن حاله البائسة مستهديا راي صاحبه المنير عند الظلام ، وليؤكد وفاءه الذي لا ريب فيه مع انه حائر قد انقلب الناس عليه واتقوه كذلك السامري الـذي اغوى قوم موسى فعاقبه بالنفي ، فهم كالذئاب ينهشونه ، يتظاهرون بالسؤال عنه للتجسس عليه ، لكن الشاعـر يخبيء لهم صولة الاسد بعد التحفز لان الماء ينبجس رغم الصخر ، ولان الغيث يهطـل بعـد الاحتباس ، وسيصحو الدهر بعد ان غشيه النعاس . الى ان ينتهي الى الخاتمـة مؤبدا وفاءه لصديقه محرضا له على التماس المسرة :

**لا يكن عهـدك وردا — ان عهـدي لـك آس**
**وأدر ذكري كـاسا — مـا امتطت كفـك كـاس**
**واغتنم صفو الليالي — انمـا العيش اختـلاس**

ويلاحظ على هذه الفقرات الثلاث ، او هذه الافكـار الكبرى انها تسلسلت تسلسلا منطقيا لا يناقض عفـو الخاطر . اذ بدا الشاعر من الجو العام للواقع الانساني .. ليثني على واقعه هو ، وليثلث بشؤون صاحبه ابي حفص من خلال شؤونه الخاصة ، فجاءت بناء محكمـا يكمل بعضه بعضا ، او يثري بعضه بعضا . والذي يؤكد لنا هذا الاصل العفوي لهذا التركيب المتين المتماسك هو انسراب الافكار والمعاني على خط التداعي العفوي . فمن المستبعد ان يتحدث السجين المظلوم عن غير الازمان والالام والحياه ، وعـن نفسه وعن الناس المتقلبين ، وعن صديقه ابي حفص ، ومن المستبعد الا تتناثر الحكمة على شفتيه ، والا يأتي بالمعاني الجديدة والصور الطريفة ( كنعاس المجد ، وامتهان المسك على التراب ، وخلود عهد الوفاء خلود الاس فلا يذبـل كالورد ) وهو من هو اصالة فى الفن ، وحرارة فى التجربة . ويؤكد ذلك ايضا البساطة اللامتناهية فى التعبير عـن المعاني الكبيره والافكار الهائلة :

**مـا عـلى ظنـي باس — يجرح الـدهر ويـاسو**

أي تعزية فى الشطر الاول ، واي حقيقة هائلة فى الشطر الثاني ، واي وضوح وبساطة فى التعبير عنهما . وهـذه البساطة فى التعبير تعاو بالقصيدة كرسالة شعرية تريد ان تؤدي غرضها لدى قارئها احسن اداء . وقد اشار الدكتور شوقي ضيف (١) الى ان هذه القصيده الجيدة قد الـمت بمعنيين او اكثر من معاني القدماء من غير ان يضير الشاعر ذلك لان عنترة سبق ان قال: «هل غادر الشعراء من متردم» . ووددنا لو صرح الدكتور ضيف بمواضع الالمام لنتدبرها او نناقشها . لكن الفكرة الرئيسية التي تنطلق منها اكثـر المعاني والتي تتوم مقام قطب الرحى وهي ( الدهر دولاب والايام قلابة ) ـ كما يقول المثل العامي ـ تعود فى جذورها الى الآية القرآنية « وتلك الايام نداولها بين الناس» لاجتماع عدة تأثيرات قرآنية ـ كما سنرى ـ ولقرب روح السجين غالبا من الله والاجواء القدسيـة ، وهـذا هو الجو الذي ركب المعـادلة ( سجن + سجين + اديب + قرآن كريم ) فاعطت ثمرة ادبية فكرية رائعة فى عصرنا هذا . والـذي يستوقفنا عند فكرة ابن زيدون هذه كثرة تردادها والالحاح عليها ، فقد استولت على المقدمة بأسرها وعلى اجزاء لا بأس بها من بقية الفقرات .. مما يدل على نزعة التفاؤل المعتصرة من لجة الحزن العميق ، وتفصح عن عمق نظرة الشاعر الى الحياة ونمو حاسته السياسية والاجتماعية . ويتبـدى الاثر القرآني فى عدة مواضع وعدة اشكال ، فقد اثـر

بالصياغة وبالمعاني ، اما في الصياغة فقد اتخذ الشاعر من مقدمته اطارا لرسالته او موضوعه متأثرا باسلوب القرآن في السور المكية الصغيرة ، حيث يمهد القرآن لموضوع هذه السور بلمسات ولمحات عامة تقوم مقام الجو والاطار للموضوع المقصود – كما وضح ذلك سيد قطب – اما في المعاني ففي قوله :

نلبس الدنيا ولكن … متعة ذاك اللباس
وراوني سامريا … يتقى منه المساس

تمثل لقوله تعالى « وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » ولقصة السامري مع موسى والعجل الذهبي المعروفة .كما يظهر الاثر الفقهي الذي اشار اليه الدكتور شوقي ضيف وراى فيه دراسة ابن زيدون لعلم الاصول من قوله :

وودادي لك نص … لم يخالفه قياس
انا حيران وللامر … وضوح والتباس

كذلك لم تتخل ثقافة الشاعر التاريخية التي اغنت رسائله النثرية عن الظهور ، فاشار الى قاض من قضاة العراق في عهد بني امية عرف بالذكاء والفهم والفراسة هو اياس بن معاوية :

يا ابا حفص وماسا … واك في فهم اياس

فما الذي بقي للشاعر من خصوصية ومن جهد في معاني هذه القصيدة ؟ نحن لا نقول بقول الذين ينظرون عند الجواب على هذا السؤال من زاوية السرقات لان الشاعر قد استقل بابتكار عدة معان رائعة منها تشبيه الوفاء بالعهود بذبول الورد وخلود الآس ، ولانه لم يتأثر هذه المعاني لانه شاعر صغير يتطفل على منجزات الاخرين الفنية ، بل اثبت اصالته في جميع شعره فضلا عن هذه القصيدة ،ولان المعاني المستفادة – وهنا بيت القصيد – لم تقصد لذاتها بل لمدلولاتها ، فشاركت كجزء من كل : من قبيل ورود عبارات متعارفة على لسان شخص حالم في اليقظة ، او استشهاد خطيب مفوه بمثل سائر ذي مدلول مناسب مؤثر في اوج الانفعال لدى الخطيب والسامعين . ومن هذا الباب يدخل قول شوقي ضيف:« كان ابن زيدون يحسن ضرب الخواطر والمعاني القديمة او الموروثة في عملة اندلسية جديدة ، فيها جمال الفن وبهجة الشعر ، وما يفصح عن اصالته وشخصيته » (٢) .

لكن الذي يسترعي انتباهنا اكثر من سواه هو وحدة الموضوع في قصيدة تعد خمسة وعشرين بيتا ، وحدة لا تشوبها شائبة : فكرا وعاطفة وموسيقى . وقد اشرنا سابقا الى الترابط العضوي بين اجزاء هذه الوحدة .وهذه الوحدة في الموضوع نعتصر منها نتيجة نضمها الى جانب العاطفة التي سنتحدث عنها بعد قليل ، ذلك لان الجو النفسي الموحد المهيمن على فكر الشاعر ولسانه قد ارسل هذه الثمرة الناضجة ، والغى بقية المؤثرات التي قد تعكر عذوبة هذا اللحن المتساوق من اول كلمة لاخر حرف .

وقد كاد الدكتور جودة الركابي يقرر هذه الوحدة بالموضوع حين اومأ الى ان شعر الاستعطاف والشكوى قلما انفرد بقصائد خاصة الا ما نجده في تلك القصيدة الخالدة التي ارسلها ابن زيدون الى صديقه ابي حفص بن برد (٣) . كما انه وضع يده على معظم السر حين لاحظ خروج الشاعر على عمود الشعر الجاهلي (٤) في شعره الذاتي، هذا الشعر الذي يمثل بحق اصالة ابن زيدون وشاعريته لا شعر المديح والتزلف (٥) ويخيل الينا ان هناك خيطا بين وحدة الموضوع في هذه القصيدة وبين السور القرآنية القصيرة ، على اننا نعترف بالجانب الاكبر للتوهج العاطفي ، ولجدران السجن. ولا بأس ان ندين صفي الدين الحلي بأخذه عن ابن زيدون قوله:

ولقد ينجيك اغفا … ل ويرديك احتراس
ولكم اجدى قعود … ولكم اكدى التماس

لقوله :

فكم غاية ادركتها غير جاهد … وكم رتبة قد نلتها غير طالب
وما كل وانٍ في الطلاب بمخطيء … ولا كل ماض في الامور بصائب

حقا لقد ادرك صفي الدين ما اراد من شعر ابن زيدون وهو قاعد رخي البال !

## الخيال :

اعجب ما في هذه القصيدة غناء الخيال وتلونه بكافة الالوان النابعة عن الالم والشكوى ، ودخوله من كافة منافذ الخيال المعروفة كالرمز والتشبيه والتشخيص والتجسيم والوصف المباشر فهو يرمز في مطلع القصيدة معرضا بالخاملين الرابحين ومعزيا طموحه النبيل :

وكذا الدهر اذا ما … عز ناس ذل ناس
وبنو الايام اخيا … ف : سراة وخساس

ويبلغ تعريضه بهم اوجه حين يصفهم بالذئاب :

( اذؤب ) هامت بلحمي … فانتهاش وانتهاس
كلهم يسال عن حالي … وللذئب اعتساس

كما يناطح اعتداده وتحفزه السحاب :

ولئن امسيت محبو … سا ، فللغيث احتباس
يلبد الورد السبنتى … وله بعد افتراس
فتامل ! كيف يغشى … مقلة المجد النعاس !

والتشبيه الضمني الجميل تراه في وصف نفسه بالغيث دون تصريح ، وبالماء المنبجس في موضع اخر . وانتهز الفرصة لاقول : ان كلمة ( السبنتى )التي اوحت لاحدهم بالنبو والتقعر تسمو الى ان تقذف في البيت شحنة خيالية مبهمة ، وقوتها جاءت من الابهام فيها لدى القاريء الذي لا يعرف معناها اللغوي : ( الجريء ) على شرط ان يعرف ان معنى ( الورد ) : الاسد ، والعارفون يعلمون اهمية الابهام في جو التهويل « القارعة ! ما القارعة ! وما ادراك ما القارعة !. . »

اما الكناية فتذهلك في طرافتها وظرفها وبعد دلالتها وبساطتها في قوله :

لا يكـــن عهـــدك وردا      ان عهـــدي لـــك آس

اي ان عهدي لا يذبل كالورد ، بل هـــو دائم النضرة والاخضرار كالآس .. بله العبير واللون .

ولقد يتبادر الى الذهن ان ابن زيدون يطل بخيالـــه المترف الحضري لانه كنى عن خلود الوفاء بالعهد بـــدوام خضرة الآس .. فنقول ان خيال الشاعر لبس لكل حـال لبوسها ، ففي الشدة مع اعدائه يظهر بمظهر الاسد المتحفز المغضب ، ويظهرهم بمظهر الثعالب .. وهذه ملامـــح بدوية ، كما ان الشاعر ينفرط انفراط العقد بين يـــدي العبير حين يلم بالجو الرقيق ، حين يصف وفاءه لصديقه، حين يرغب له الحياة الناعمة الترفة :

وادر ذكـــري كـــاسا      مـــا امتطـــت كفك كاس

وهذا هو شأن الخيال الفني الخصب الذي يتجاوب مع السياق والنفس والجو والفكر ، فضلا عن التعاطف مـــع الكائنات الاخرى ، فيشخص الدهر والمجد والكاس :

« يجرح الدهر ويأسو ــ يغشى مقلة المجد النعـــاس ــ ما امتطت كفك كأس »

ويجسد المحاذير والمقادير والدنيا والفكر والعهد والذكر:

« المحاذير سهام ــ المقادير اقواس ــ تلبس الدنيـــا ــ من سنا رايك اقتباس ــ ودادي لك نص ــ ادر ذكرى كأسا»

وللتشخيص دلالة غير الايحاء الجمالي المصور ، ذلك هو الترنح الحزين الذي ينطبع فى المخيلة عن عملية التشخيص نفسها ، لان الانسان الحزين او المريض يظن ان الحجارة اصبحت شخوصا تتحرك وان الغرفة تعج بالشياطيـــن من حوله ... والتجسيد قريب من ذلك .

فهل نرى فى ثنايا هذه الصور الكثيرة المتتابعة لوحـــة كاملة لها اطار ومضمون والوان وخطوط وحركة ورائحـــة وصوت ؟ الحق ان هذه الصور والمشاهد لا تشكل لوحة واحدة ، بل لوحات مضغوطة بهدوء واناة ، مترابطة برموز خفية : من اللحن الحزين والتداعيات الذهنية العميقـــة الموحية ، فلئن لم تعطنا لوحة خيالية متكاملة ، فقد اعطتنا لوحة وجدانية فيها جميع الابعاد النفسيـــة الانسانية : ارضيتها سجن الهموم ، واطارها التداعي المصور ، كالنبع المحبوس اذا تفجر تفجر بالماء الغزير والحصى والتـــراب والبخار : وهي اجزاء متمايزة انبعثت من مصدر واحد ، وكذلك صور هذه القصيدة . وفى ظننا ان مثل هذه اللوحات الوجدانية التي تنقلنا الى عالم خاص نعيش فيه كائنات مختلفة ، لكنها ، جميعها ، ترتدي ثوبا واحدا ــ كالثـــوب الاسود الحزين الذي نراه فى صور هذه القصيدة ــ هو العالم الذي ينشده الشاعر العملاق . وشتان بين هـــذا العـــالم النفسي الحي والعالم الخيالي المسطح ، فالشاعر حشر لنـــا فى عالمه هذا ــ بانسجام وبقدرة قادر ــ الزمان والمكـــان والطبيعة والحيوان والخمر بابعاد مختارة مناسبة ، دونما تنافر بينها ، بله العاطف والتساوق . وفضلا عن التفاؤل العميق الذي يتجاوز الحزن الدفين ويطوح باستار السجن، استار الزمان والمكان . فيشرف على مسرح الحياة الابدي الذي تتعاقب عليه الصروف ، والحقيقة فيه واحـــدة : « وتلك الايام نداولها بين الناس » ، وهـــذا لا يتأتى الا للشاعر الكبير الذي مرن على فتح ابواب اللاشعور عـــلى مصراعيها لتهدر كائنات تلك الاعماق فى سيل جـارف لا يقوم بوجهه عالم الشعور الا مقام المنظم المصفي المتسامح الراضي بهـــذه الحصـــة (٥) .

## العـــاطفـــة :

عاطفة الشاعر هنا ذاتية من وجه ، انسانية من وجـــه اخر ، لانها تمثل مأساة الانسان المظلوم فى كل زمان ومكان من خلال تجربة شاعر فرد ، تجربة ذاتية . وكثيرا مـــا سمعنا نغمة الشكوى من الدهر والحوادث واحتقار النـــاس عند شعرائنا الاقدمين وعند المتنبي سيـــد المحتقرين ، ومحتقر الاسياد وعند ابي العلاء المعري لكن شكوى ابـــن زيدون هنا شكوى سامية ، ليست مريضة ولا هوجـــاء ، كما انها عادلة ومحببة على غير مـــا نتحسسه فى انطباعاتنا عن شكوى المتنبي :

أذم الى هـــذا الزمان اهيله      فاعلمهم فدم واحزمهم وغـــد
واكرمهم كلب وابصرهم عم      واسهدهم فهد واشجعهم قرد

فضـــلا عـــن سوداويـــة ابـــي العلاء :

قد فاضت الدنيا بادنـــاسها      عـــلى برايـــاهـــا واجناسها
وكـــل حي بهـــا ظـــالم      ومـــا بها اظلم من ناسها (٦)

وعاطفة ابن زيدون صادقة لانها تصور واقعا حقيقيا ، وتجربة عاناها الشاعر بنفسه ولانها اعطت منجزات فنية غير عادية فى العمل الفني ، كصور طريفة ، وتناغم بيـــن الموسيقى والمعاني ولانها لم تسمح للشاعر بان يضم الـــى موضوع القصيدة الاساسي الفرد موضوعات اخرى تشوه التيـــار العاطفي الفياض الاوحد ، وهذه خير دلالة عـــلى صدقها ، لان الخروج على عمود الشعر الجاهلي الى وحـــدة الموضوع فى الشعر العربي من اشق التجارب الفنية عـــلى شاعر يتمثل الادب العربي خير تمثيل ويصدر عنـــه اولا وعن تجربته الخاصة ثانيا كابن زيدون . وهذا الحكـــم ينسحب على اكثر شعر ابن زيدون الوجداني الذاتي الذي خرج به على العمود الجاهلي، فكان خير مرآة لاصالة الشاعر .

ولقد احسن الشاعر فى بث عاطفته وتوزيعها عـــلى كافة عناصر القصيدة فالمعاني والاخيلة والموسيقى ( كما سنرى ) تخدم هذا الفرض العاطفي الحزين ، وكأنها لا تصلح الا لهذا الجو او لا يصلح الا لها . ويمكن رصد دقة التوزيع العاطفي العفوي فى فقرات القصيـــدة على التسلسل ، فبدأ الشاعر من درجة معتدلة وانتهى الى قمة الانفعال . فهو فى الفقرة الاولى يغلف عاطفته بالحكم العامة والتأملات الفلسفية ، وفى الفقرة الثـــانية يبـــاشر وصف مأساته من تفريط الزمان به ، وتفرق النـــاس عنه ، وثبات وفائه للاعزاء ، وفى الفقرة الثالثة يعرض

متلطفا بصاحبه ابي حفص بن برد ، كما يحثه على طلب النعيم ( وفى ذلك حسرة للشاعر اية حسرة ، وحسد مكتوم مكبوت لا يعرفه الا المجربون ! ) .

وهكذا تعود القصيدة مرة اخرى لتؤكد صبغة الرسالة التي تصبغها لابتداء العاطفة من موجة عادية الى ان تصل الى منتهى جيشانها فى الختام : « المخلص – والحبيب – او المشتاق جدا : فلان »

وشيء اخر ينم عن نضج صاحب هذه العاطفة ، هو لحن التفاؤول المنبعث من صميم الحزن العميق ، وذلك فى توكيد معنى تقلب الايام وبالامل فى ملاينة الدهر :

**وعسى ان يسمح الدهر فقد طال الشماس**

## الموسيقى :

ومن اهم العناصر التي ساعدت على اكتمال هذا الاثر الادبي الجميل هي الموسيقى : موسيقى الالفاظ ، وموسيقى التراكيب ، وموسيقى بحرها الخفيف(مجزوء الرمل ) وموسيقى القافية الهامسة بحرف السين وبالالف المدود قبل رويها ، فضلا عن الموسيقى الداخلية التي تعج بموجات نفسية وتصويرية وانفعالية لا حدود لها ولا يمكن رصدها جميعا . فالالفاظ برقتها وعذوبتها تنم عن عملية اختيار دقيقة لها . وعن توهج ذهني اثري ملكة الشاعر ساعة النظم ، تلك الساعة التي تتدفق فيها الالفاظ مع موسيقى الانفعال الداخلي ، تدفق المعاني والاخيلة واكثر . وابن زيدون شاعر مطبوع قبل ان يكون شاعر تخير وصقل وتحكيك ، ولعل هذه القصيدة من خيرة القصائد التي تمثل انسياب الشاعر مع طبعه ، وغزارة موارده اللغوية التي يصدر عنها، ومدى الارهاف الموسيقي لديه . وابرز مناحي موسيقاه ، تلك هي الموسيقى الداخلية التي نحسها فى كل زاوية من زوايا القصيدة ولا نملك التعبير عنها دوما ، ففي الاجواء المتقابلة نرى الشطرين يتقابلان موسيقيا :

**والمحاذير سهام والمقادير قياس**
**ولكم اجدى قعود ولكم اكدى التماس**

وفى الاماكن التي تقتضي كرا وفرا لتخيل موسيقي لحظات نزاع وجذب نرى الشرط : فعله وجوابه يلعبان دور الفارسين المتلاحمين المتواثبين :

**ان قسا الدهر فللما ء من الصخر انبجاس**
**ولئن امسيت محبو سا فللغيث احتباس**

وانظر الى هذه الحركة المخيلة فى قوله :

**ويفت المسك فى التر ب فيوطا ويداس**

وفى الاماكن التي تقتضي كرا وفرا لتخيل موسيقي عن الاخر ، لكنه اراد ان يصور لك تكرار الاهانة التي توجه للمسك المذرور على الارض تماما ، حيث لا يداس مرة واحدة بل يهان اكثر من مرة ، فضلا عن فرق لغوي اخر دقيق بين الدوس الذي يصاحبه الصغار ( ديس بالصغار والقماءة ) والوطء العادي . وبوسعك ان تحصي احرف السين ومشتقاتها ( ص – ث – ز . . ) التي تكررت في القصيدة اكثر من سواها ، لتمسك بخيط السيمفونية الحزين ، وبظلال الهمس والنجوى المتمايلة بين حنايا القصيدة كما بوسعك ان تتحسس مدى عمق التذوق الموسيقي لدى الشاعر حين فرق لك بين مدلول كلمتين بحرف واحد ( اجدى – أكدى ) :

**ولكم اجدى قعود ولكم اكدى التماس**

( وانتهاش – وانتهاس )

**اذؤب هامت بلحمي فانتهاش وانتهاس**

ففي انتهاش وانتهاس : اشياء كثيرة ، منها انها لفظيا توحي بتشابه وتسلسل بالحركة ، وتتابع بالايقاع ، وانها معنويا تدل على عمليتين متتابعتين بالعض ، فانتهاش عض بالاضراس ، وانتهاس عض بالاسنان . ولهذا وغيره نرشح هذه القصيدة الغنائية الوجدانية الصافية اللحن والخيال للتلحين والغناء احسن ترشيح .

## الزمن :

جانب الزمن من الجوانب المهملة فى دراساتنا الادبية ، وقد يتسامح بذلك فى الاعمال الادبية التي لا يلمح بها عنصر الزمن بارزا ، لكن الادب الاندلسي ، وآثار ابن زيدون على الاخص تلح على عنصر الزمان . واوضح ذلك فى قصيدته الرائعة التي على حرف النون :

**اضحى التنائي بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا**

فالزمن يلاحظ من المطلع ويستمر غالبا حتى نهاية القصيدة هذه على شكل مقارنات متقابلة بين زمنين متقابلين على طرفي خط واحد يبدأ من الماضي الحلو لينتهي الى الواقع المرير وله امتداد مبهم مفزع الى المستقبل . بينما فى القصيدة التي ندرسها نلاحظ الزمن يتشكل بعدة ابعاد طولية وعرضية ، ثابتة ومتحركة . والموجات الطولية التي تبدأ من فترة زمانية وتدخل في فترة زمانية كان بالامكان ان تلقي ظلا اليما محزنا – كما

---

(١و٢) ابن زيدون–نوابغ الفكر العربي(طبعة ثانية)الدكتور شوقي ضيف ص٤٠

(٣) فى الادب الاندلسي (طبعة اولى) الدكتور جودة الركابي ( ٢٠٣–٢١٠)

(٤) عمود الشعر الجاهلي : المراد منه هنا تعدد الموضوعات فى قصيدة واحدة ( الابتداء بالاطلال ثم بالنسيب ثم وصف رحيل الاحبة ، ثم الانتقال الى المدح او الفخر ، ثم الخاتمة بالحكمة ) . الى جانب القوالب الجزلة وتفرد كل بيت على حدة بشخصية مستقلة .

(٥) الصورة الادبية ( الطبعة الاولى ) الدكتور مصطفى ناصف .

(٦) شواهد المتنبي وابي العلاء عن تاريخ الادب العربي ( الطبعة الثالثة ) حنا فاخوري

# قلب بلا عواصف

منذ الازل وانا فى المدينة الكافرة
بلا اهل وبدون اصدقاء
اتسكع على الارصفة تحت المطر
اضغط على معدتي
وادق الابواب والرؤوس القبور المجصصة
وعلى شبابيك السيارات العابرة
تتزحلق نظراتي الحائرة
علها تقع على عيني امراة شهية
احلم بهما او بمثيلهما
عندما انزوي فى مكان ما
لاحس حينذاك
ان الكون عصفور يبني عشه على جبيني
انا النسر المتشامخ الجريح
والقلب الخائن الذي يحضن القارات

يومي تافه وساعتي عاقر
ادور فى دوامة الضجر
امضغ قلبي ، فمي رئتي
وابصقها
امضغ اشيائي واوجاعي
وابلعها
ومن اعماق التفاهة اقف
لارصف ضلوعي طريقا
لاعلق عيني منائر
فاضحك .. واسلم ساقي للريح

آه الريح .. الافق اللازوردي
آه خسرت وزناتي العشرة
نهاية الطريق حفرة
فاقربي اقربي
ايتها الصغيرة المتوحشة
انت يا حبة القلب
وطيره الاستوائي الاسمر

بلا رغبة اعيش
نزلت الى اعماق البحر
ضربت قاعه بجفوني
صعدت
قرعت باب الشمس بروحي
فتفجر نهر من الخرق البالية
ما همني الوجود ، المصير
ما همني الذي سيكون
آه ليتني لم احمل سريري وامشي
مظلتي تمزقت تحت المطر
رايتي خلية يعشش فيها السرطان
تعبت
قلبي يعيش بلا عواصف
وعلى شبابيك روحي
ترفرف طيور الموت البنفسجية

**الياس الفاضل**



فعلت فى القصيدة السابقة ـ لكنها هنا قامت بدورين لانها تبدأ من الماضي لتنتهي الى الواقع حينا ،او تبدأ من الواقع لتنتهي الى المستقبل المأمول احيانا اخرى ، فلاحظنـــا موجات الحزن تعفي عليها موجات متلاحقة من التفاؤل . وشبيه بذلك اللحظات الزمانية العرضية ( اذا ما عز ناس ـ ذل نـــاس ) لكن منتهى اللوعة حين يقف الزمن عن الحركة ويبرز الواقع ثابتا منقطعا عن الماضي والمستقبل :

**مـن سنا رايـك لـــي فـي غســق الخطـب اقتباس**
**انــا حــيران ولـــلامر ... وضـــوح والتبـــــاس**

وعن هذا المحور الزماني الثابت ( لحظة السجن ) تدور قطاعات زمنية متعددة ، كتغير موقف الناس ، وتقلـب طبيعة الايام ، وثبات وفاء الشاعر لاصحابه .

**الكلمـــة الاخــيرة :**

بعد محاولتنا فرز العناصر الجمالية الفنية فى هـــذه القصيدة نعترف بانها انزلقت من بين ايدينا مرة اخـرى وانصبت فى المكان الذي اغترفناها منه ، كشأن المغترف من بحر فى يوم بارد حين لا تقوى اصابعه على قبض الحفنة الرجراجة ، فليغترف من شاء بنفسه بعد ان اخفقنا فى حمل ما اغترفنا الى سوانا ، وحسبنا اننا جربنا على الملأ .

دمشق **محمد محمود الحسناوي**




**بقلم الدكتور محمد حاج حسين**

بدات الحفريات عن اثار عاصمة اشور عام ١٨٤٣ بوساطة قنصل فرنسا بالموصل . وادت هذه الحفريات الى نتائج باهرة القت بعض الضوء على تاريخ بابل ، غير ان هذه الحفريات سرعان ما انقطعت .. ولكن علماء انجليز تابعوها بهمة ونشاط ، وكان من جملة مكاسبهم العظيمة اكتشاف مكتبة ملك اشور الكبير اشور بانيبال الذي حكم منذ سنة ٨٦٨ حتى ٦٢٦ ق.م. وكان هذا الملك محبا للعلم ، فجمع فى قصره مكتبة عامرة فيها اكثر من عشرين الف رقيم حملت الى لندن . واستطاع العلماء الانكليزا ن يفضوا مستغلقها .. ووجدوا فى جملتها كثيرا من المقاطع من ملحمة مؤلفة من اثني عشر نشيدا غنت الاحداث العظيمة التي تعرض لها البطل جيلجميش . وتتابعت الحفريات ، ووجدت مقاطع كثيرة من هذه الملحمة ترقى الى عهد حمور ابي فى القرن الثامن عشر ق.م. وبمقارنة النصوص المختلفة لوحظ ان الملحمة لم تكن على صورة واحدة ، بل تطورت خلال الزمن ، فقد زيد فيها الكثير كما حذف منها الكثير ، لانها كانت المجال الفياح للبطولات الشامخة التي كان هؤلاء الشعراء يتصورونها ، ويعزفون لها اقوى الاغاريد معبرين فيها عن اعجابهم بالخوارق ومفسرين الكون وفق طفولتهم العقلية ، واحاسيسهم النقية .

ومن المحتمل ان يكون بطل هذه الملحمة « جيلجميش » شخصا حقيقيا ، لان اسمه وجد فى قائمةتحوي اسماء ملوك اشور . والواقع ان العلماء لا يعرفون من الوجهة التاريخية سوى اسمه . ومن المعقول ان الشعراء اتخذوا من هذا البطل صورة ماجدة للبطولات الشامخة التي حلموا بها . ومع الزمن امحت الشخصية الحقيقية لهذا الملك لتتفاعل مع احداث الملحمةالخارقة التي غناها هؤلاء الشعراءالموهوبون . وهناك عدة نسخ من هذه الملحمة .. ولكن نسخة اشور بانيبال هي الاكمل والاحدث ..

وهذه الملحمة من اقدم الشعر فى الدنيا ، ولها قيمة ممتازة فى الادب العالمي ، وقد توفر علماء الغرب على بحثها بدقة ، ودراستها بعمق ، وقارنوا بينها وبين احداث التوراة ، واكد بعضهم ان بعض مقاطعها تسربت الىاليونان، وتأثرها هوميروس .

كان جيلجميش ملكا على اود . وعندما تنفس الحياة ، اجتمعت الالهة من كل فج عميق حول مهده لترامه وتباركه ومنحته القوة الضارية والباس الشديد ، والذكاء العميق. وهكذا شب وثلثاه اله ، والثلث الباقي انسان، فقدامتزجت فيه الالوهية بالانسانية حتى غدا ملكا مرهوب الجانب ينثر اسمه الذعر فى كل مكان ، لا سيما ان «شمس» الهة العدل والشمس كانت تغمره بعطفها السابغ لانه كان ابن كاهنة فى هيكلها اختصت بالعرافة وقراءة المستقبل . فلا عجب اذا خاض الغمرات ، وخرج منها متوجا باكاليل الغار .. حتى القى هيبته فى كل مكان ، وخشاه كل انسان ، واستنام على هذا المجد الذي رتع فيه .

وذات يوم ترامى الى مسمع جيلجميش ان عملاقا هائلا يقطن جبلا بعيدا عن اور ، ويعيش فى غاب ملىء باشجار الارز ، حيث نصب فيه هيكلا للالهة ايرينيني . ومما لا مشاحة فيه ان المقصود بهذا الجبل لبنان .. وكان العملاق « هومبابا » صنيعة بعل سيد الارض الذي كلفه بحراسة هيكل « ايرينيني » وهكذا كان عملاق الارز ممثلا لبعل ، وفى الوقت نفسه كان خصما لشمس التي جنحت الى حبيبها جيلجميش ، وطلبت اليه ان يذهب الى بلاد الارز ليقارع هذا العملاق الجبار .

وزرف « جيلجميش » الى رفيقه فى السلاح البطل « انكيدو » وساله مرافقته لاقتحام عرين هذا الجبارتحقيقا لرغبة « شمس » وامتاز انكيدو بشجاعته الخارقة ، فهو لا يقل بطولة عن صفيه جيلجميش . ولكنه وجم امام هذه الرغبة ، ثم عالنه برفضه مصاحبته فى هذه المغامرة التي لا تحمد عقباها متعللا بانه كان ذات مرة على مقربة من جبال الارز ، وسمع زئير هذا العملاق كالرعدة القاصفة .. وكان فمه يقذف النار .

ولكن جيلجميش لم تلن له قناة لهذا الوصف المخيف ، وهتف بانه سيذهب وحده الى غابة الارز ليفتك بهذا العملاق انصياعا لارادة شمس التي لا يستطيع ان يقاومها ولانها سانحة يجب ان يغتنمها ليضيف امجادا جديدة الى امجاده الغابرة .

وعندما راى انكيدو تصميم مليكه افتر ثغره عن ابتسامة راضية وغمغم : سارافقك . وهكذا اخذ الصديقان يعدان العدة للانطلاق الى هذا العملاق . وتوجه جيلجميش الى « شمس » بقلب خاشع ، وتمتم صلاة قصيرة ، ولكنها حارة ، ورفع يديه الى السماء يرجوها العون . وانطلق الى شيوخ المدينة ليستمد منهم النصيحة . وقالوا له : « انك شاب تلتهب شجاعة ، ولكنك لا تعرف خطر المهمة التي اردت الاضطلاع بها . اننا لا نعرف شيئا عن هومبابا سوى انه غول مخيف ، ولكنك يجب ان تمشي عشرين الف ساعة لتخترق البلاد التي تفصلنا عنه » .

ولكن جيلجميش لم يابه لهذا الخطر ، وصرخ : ساذهب اليه ، سامحق الارز وسابني شهرة خالدة .

وبارك الشيوخ هذه الارادة المنيفة ، ورنوا الى «شمس» يرجونها حراسة خادمها الامين « جيلجميش » من كل

خطر .. على شريطة ان يقدم لها قربانا من الماء القراح كل مساء .

وعندما حان ميعاد سفره ذهب الى امه كاهنة الشمس التي برعت في اختراق حجب الغيب ، وتفسير الاحلام . وقرت الام عينا بولدها البطل الذي بدا في كامل اسلحته لنائيل مجد سيدتها الشمس ، والقضاء على خصمها الارعن .

وذهب جيلجميش برفقة انكيدو الى هدفه المرجو ... ولكن انكيدو تخبط في داء وبيل .. وظل فريسة له مدة اثني عشر يوما .. وهو مجهد الحشاشة ، ممزق القوى ، يتراوح بين الموت والحياة . واكتنه انكيدو سبب مرضه . وقال لجيلجميش : « ان الها اراد لي هذا الداء جزاء وفاقا لترددي في الذهاب معك » . وعندما شفي من سقمه تابع البطلان مسيرهما حتى وصلا الى سفوح جبال الارز . وشدها لمنظر الاشجار السامقة الى السماء . وخالطهما خوف غريب ، فاتجها بصلاتهما الى الجبل ، وحفرا حفرة عميقة ، ووضعا فيها قبضة من الطحين ، وهتفا : « ايها الجبل ، ابعث الينا الاحلام » . ولما عقد الكرى اجفانهما رايا احلاما عديدة . ولما استيقظا تذكراها وحاولا تفسيرها . واخيرا هرعت الشمس لمساعدتهما .. فقد اثارت اعصارا بالغ الاضطرام طرح العملاق ارضا .. وانقضا عليه ، وطلب العملاق الرحمة ، وكاد جيلجميش يستجيب له .. غير ان انكيدو اصر على المعركة التي انتهت بمصرع العملاق ، وحز راسه .

وازدهى جيلجميش بنشوة النصر ، وامتاحته فرحة قريرة لهذا النصر العظيم . وكر راجعا الى مملكته بصحبة انكيدو . وعندما شارفها هرع الجميع لاستقباله والتملي بطلعة البطل الذي كان مرتديا حلة جديدة تاركا شعره مسترسلا على كتفيه . وبدا روعته في سلاحه الذي يتألق تحت اشعة الشمس .. ورامقته الفتيات برغبة عارمة ، وتلمظت شفاههن شوقا اليه .. غير ان هذا الاعجاب المقرون بالهوس لم يقتصر على نساء مملكته ، بل لسوء حظه اعجبت به الالهة « اشتار » فقد نبض قلبها بحب عميق لهذه الطلعة المهيبة ، وامام العيون النهمة التي تناهبته ، رفعت اليه اشتار عينين خفق فيهما الوله وهتفت : تعال يا جيلجميش . وكن زوجا لي . ساعطيك عربة من ذهب تجرها جياد فارهة ، وستدخل فيها قصرنا المنيف . وعندها يترامى الملوك والامراء والاشراف على قدميك ، وسيقدمون لك ثمرات السهول والجبال معبرين بها عن احترامهم الشديد .

وانتفض جيلجميش ، ورفض هذا الزواج ، وهاجم الالهة بضراوة ، والقى على مسمعها خياناتها السابقة فذكر لها اسماء الذين احبتهم ، ثم اجتوتهم ، وحولتهم جميعهم الى حيوانات ما عدا تموز الذي كان اول من خفق قلبها له .. لان تموز توارى بعض الوقت ، ولهذا وجدت عليه وجدا عظيما ، وامرت جميع الكائنات بالبكاء عليه في ذكرى موته .

ولكن هذا الاسى لم يمنعها من حب غيره ، ثم نقمت على هذا البائس ، فمسخته عصفورا ، ولم تكتف بهذا ، بل امعنت في كيدها ، فحطمت جناحيه ، وهكذا نزع هذا التاعس الى الغاب يندب جناحيه بحرقة . وحبيب ثالث تلظى وجدها عليه فحولته الى اسد ، ورابع الى حصان .. وحبيبها الراعي بعد ان امتصت غضارته حولته سنجابا ، يتواثب في الغاب تمزقه كلابه التي كانت له عندما كان راعيا . ولهذا رفض جيلجميش هذا الحب الذي عرضته عليه ... وانهى قوله : انك بلا شك ستحبينني بعض الوقت .. ولكن ستمسخينني اخيرا الى حيوان .

وشذرته اشتار بعينين ماج فيهما حقد كريه ، وعزمت على الانتقام من هذه الاهانات التي انثالت عليها .. وصعدت فورا الى السماء وطلبت من ابيها « انو » ان يخلق ثورا ضخما ، ويهبط الى الارض ، ويمزق « اور » بانيابه الكالحة ، وينتقم لها من جيلجميش الذي هزا بعواطفها .

وجاء الهول مع هذا الثور السماوي المخيف ، فدمر المحصولات ، واباد الشجر ، ونشر الذعر في كل مكان ، وعاث فسادا حتى استبد الرعب بالناس ، وولوا امامه مسفوعين ، ولم يتراجع جيلجميش امام هذا الخطر الماحق ، وذهب مع صفيه « انكيدو » لدرء هذه الفيلة . وهاجما الثور الذي ارسل خوارا فظيعا مادت له بطون الاودية ، واهتزت له شعاف الجبال .. ولكن البطلين الاروعين صمدا له في الحومة ، وقارعاه بهمة قعساء لا تلين ، واستطاعا ان يمسكا بقرنيه ، واغمدا سلاحهما بجسده ، فتهاوى تحت ضرباتهما الشديدة وخر يتشحط بدمه المطلول ، وانتزعا قلبه ، وقدماه قربانا للالهة شمس . رغم انها لم تساعدهما في هذه الملحمة الهائلة .

ورات « اشتار » مصرع الثور السماوي ، فتخاذلت منها القوى ، والمت بها رعدة قاتلة ، وزوت ما بين حاجبيها وقد جرفها حقد مرير على جيلجميش الارعن ، وصعدت على اسوار المدينة .. وامام الشعب الذي تجمع من كل مكان ، اخذت تلعن جيلجميش حتى تحيق به التعاسة ، ويتهاوى مجده الذي وطده بعزمته الصارمة .

وفي اليوم التالي لهذه المجزرة خف انكيدو الى صديقه جيلجميش ، وكان الذعر قد الم به واخبره عن حلم ممض رآه فيما يرى النائم .. فقد وجد نفسه مع مجموعة من الالهة هم : انو وبعل ، وايا ، وشمس .. وخاطب انوبعل قائلا : « بما انهما قتلا الثور السماوي ، ودقا عنق عملاق الارز .. يجب ان يموت انكيدو وجيلجميش .. واجاب بعل قائلا: «يجب ان يموت انكيدو وحده.. اما جيلجميش فسيظل حيا . » وتدخلت شمس وزعمت اننا فعلنا ما فعلنا بارادة بعل .. ومع هذا لم يتراجع عن ارادته ، واصر على موت انكيدو » .

وبعد اثني عشر يوما وقع انكيدو فريسة مرض مريع ،

ولفظ انفاسه .. وجزع جيلجميش على رفيق السلاح ، وانبجست منه العبرات وتركزت فى ذهنه فكرة الموت .. فقد يأتي يوم يجد نفسه فريسة لهـذا الموت الكريــه ، وخالجه الخوف لهذه الخاطرة ، وصدهـــا عنــه بعنف ، سيكافح حتى يظل خالدا .. بعيدا عن الردى ..

وفكر وقدر الامر ، وترامى الى مسمعه ان احد اجداده القدامى « اومبنيستي » قد كتبت له الحياة الدائمـــة لتقواه وصلاحه لانه عندما تمرد البشر على الالهة ، وهزاوا بتعاليمها ، وفسدوا فى الارض ارسلت الالهة طوفانا اغرقهم حاشا « اومبنيستي » الذي كان مطيعا لالهته بارا بهـا ، فكافأته بالحياة السرمدية . ولهذا عزم جيلجميش عـــلى البحث عن هذا الجد السعيد ليسأله عن سر الخلود . وامتطى صهوة جواده ، وذهب يتلمس مكان هذا الجد . واجتاز السهل المترامي ، وبعد خطوب وصل الى سفح جبل « مسهو » وارتاع لاول وهلة عندما راى مخلوقين هائلين قد امتدت قامتهما بشكل مريع .. وكانت مهمتهما حراسة مدخل الطريق الذي تخترقه الشمس كل غروب عندما تتوارى وراء الافق . ودنا منهما وجلا . ولكنه ما لبث طويلا حتى سرى عنه ، وتجلد امامهما ، وبلهجة باكية قص عليهما مأساته . انه بائس يهيضه الخوف من الموت ، وهو يود ان يغالبه حتى لا يتسرب الى جسده . ان الحياة جميلة ولا يريد ان يذرها الى عالم هامد .. يقشعر منه بدنه . وحاول الحارسان تخذيله ، وصده عن غايته وقالا له : لا يوجد طريق الى جدك .. وحتى لو وصلت الـى شاطيء البحـر لن يتسنى لك اجتيـازه ، وهو المتلاطم الامواج .. ولم يوجد ذلك الكائن الذي استطاع ان يجتازه ما عدا شمس ..

ولكن جيلجميش يملك عزما من حديد ، وارادة تغالب العقبـــات التي تنتصب امامه .. ولهذا لم يأبه لنصـح الحارسين .. انه يبغي امرا ، ولن يتراجع عنه مهما عانى من الويلات .. ودار حول الجبل ، وبعد جهد عنيف وصل الى طرفه الاخر الذي يربض على البحر الذي يحيط بالعالم .. ورأى بستانا ناضرا عجيبا بهر بصره بغرائبه . وكان ملكا لالهة من الطبقة الثانية تدعى « سيدوري سبيتو » وعندما بصرت هذه جيلجميش هرولت الى بيتها ، واوصدت الابواب ، واحكمت اغلاقها . واقترب منها جيلجميش ، وكلمها بصوت عذب هاديء . واثرت فيها لهجته اللطيفة ، فوافقت على سماع قصته . ولما انتهى من سردها اجابته : « ان الحياة التي تبحث عنها لن تجدها لان الالهة عنـــدما خلقت الناس قضت عليهم بالموت ، لهذا يجب ان تستمتع ليل نهار ما دمت حيا . » غير ان جيلجميش لم يقنع بهذا الراي الصائب ، واصر على فكرته ، وناقش الالهة . .وقالت له اخيرا : بعد مسافة قريبة من بستاني تجـد غابة فيها بحار ، وهو حطاب وصانع سفن قد يوافق على مساعدتك»

وذهب جيلجميش يحدوه امل بسام الى الغابة ، ووجد فيها ضالته المنشودة . وخفق قلبه فرحا ، ولكن البحار رفض مساعدته لاول وهلة .. غير ان جيلجميش استطاع بحنكته وحكمته اقناعه . واخذ الاثنان يهويان بفؤوسهما الضخمة على الاشجار الفارعة ، واطاحا بمئـة وعشريـن شجرة ، وعملا منها مركبا عظيما ليقلهما الى «فم الانهار» حيث يقيم جده اومبنيستي منذ عهد الطوفان .

وبعد صعاب ملتوية، ومسافات شاسعة وصل جيلجميش الى هدفه ، ووجد نفسه فجأة امام جده السعيد الـذي يعيش مع زوجه منذ نهاية الطوفان . واستقبله مرحبا به . وسأله عن غايته .. ولما نفض جيلجميش قصته ، واملة فى الحياة الخالدة قال له جده : « يجب ان تتخلى عن كل امل فى هذا . »

وكد جيلجميش العرق ، وخانته قواه . وامره جـده بالجلوس . وما استقر فى جلسته حتى شعر بالنعاس يوقر اجفانه ، وغرق فى نوم عميق . ولما استيقظ قال له جده : « ارأيت انك مجرد انسان . »

وبكى جيلجميش ، وكفكف اومبنيستي دمعه ، وحاول التسرية عنه . وقال له اخيرا : يوجد نبات يعيد الى الشيخ شبابه . ولكنه فى اعماق البحار . وعليك ان تجده بنفسك

وسارع جيلجميش الى ربط حجرين كبيرين فى قدميه ، وغاص فى اعماق الماء ، ووجد النبات العجيب ، وانتزع قبضة منه ، وتخلص من الحجرين ، وطفا على سطح الماء .

وعراه الفرح الشديد ، وهو يمسك هذا النبات القدسي. لقد تعذب كثيرا حتى وصل اليه . غير ان كل هذه الاوصاب التي تعرض لها قد تلاشت عندما داعب بيده هذا النبات الذي يتيح له الشباب ، ويهصر الشيخوخة التي يرتاع منها . والان يستطيع ان يعود الى عاصمته اور مطمئنا الى غده .. وعندما يستقر به المقام هناك سيأكل بعض اوراق هذا النبات ليقضي على الام الشيخوخة ، ويتسربل برداء الشباب القوي . واتجه صوب مملكته يتوثب من السعادة. وفى الطريق اجتاحته موجة من الحر الراهق فانحدر الى ينبوع ماء رقراق لينقع غلته . وما ان عب قليلا من الماء حتى راى افعى قد جذبتها رائحة النبات ، فانسابت بين الحجارة وانتزعته ، وفرت به .. وازدردت قليلا منه واذا بها تحس بقوتها الناضبة تتجدد ، وانتفضت بشبابها وجبروتها . ورامقها جيلجميش والاسى يحرقه بجمراته انها سعيدة فقد خلعت ثوب الشيخوخة الى الابد ، ولن تتعرف الى الامها الراهصة .. اما هو الذي عانى فى سبيل الحصول على هذا النبات .. فستدميه اشواك الشيخوخة التاعسة ، وسيمزقه الموت ..

وهكذا حاول البطل ان يحصل على سر الحياة .. ولكن فى اللحظة الاخيرة انتزع منه .

طرطوس — محمد حاج حسين

# اغنية حب في عيد الميلاد

الى صاحبة القلب التي اغني لها عمري..

مجاهد عبد المنعم مجاهد

القاهرة

الحب جاء يطرق الابواب فافتحوا
قد جاء فى عيونه السلام ليس فى يديه ما يؤذي ويجرح
الا افتحوا .. خذوه فى صدوركم وراقصوه وافرحوا
وعندما يقيم فى قلوبكم وتمنحوه دفئكم سينتشي
يقول : « نعم المطرح !! »
لا تتركوه فى الطريق فهو قد اتى مع المساء ظل للصباح
كي تصبحوا عليه كي تصبحوا
وجاءكم .. بعيد ميلاد الذين يعشقونه .. لهم يسبح
بعثته اليكم رسولا للفؤاد .. فافتحوا له افتحوا ..
حبيبتي .. عيشي لنا الفا من السنين
الا أعذريني لم اجيء لاحمل الورود طوق الياسمين
فان لي جيبا حزين
لكنني بعثت فى المساء من فؤادي الهوى
الذي يجيء يطرق الابواب بالحنين
اغلى الهدايا يا جميلتي قدمتها . . ترى هل انت فى العشرين
أم يا ترى انا الذي صغرت يا صغيرتي ويصغر الهوى
الدفين !؟ ،
بعيدك الذي اود ان يجيء كل ساعة ..
وجاءكم هواي يحمل السلام فافتحوا له افتحوا
الارض قد تألقت وزينت خدودها
والشمس قبلت على السماء عودها
وعندما تجيء نجمة السماء فى عيونك التي احبها
ويفتح الهوى ورودها
وعندما ستفتحين هذه الابواب للرسول
سوف تعرف العيون يا صديقتي وجودها
فاكرموا الرسول يا حمامتي افتحوا له افتحوا
لا تدخلوه زائرا
لا تتركوه حائرا
خذوه انه يود لو يقيم عندكم ولا يعود طائرا
ان لم يعد يا فرحتي ، يا فرحة القوارب التي رأت
جزائرا
الا افتحوا الرسول واقف لديكم افتحوا ..
اقول يا صديقتي بعيد ميلاد الذين عندهم هواي
قائما يسبح
بأن من يجيئه هدية ولا يردها
ويطلب الذين ارسلوها فى الصباح كي يصبحوا
اكون قد اخذت منكم هدية
لعيد ميلادي الذي ما جاء بعد فادخلوا فى دفء
قلبي وافرحوا

# ابن خلدون في دنيا التربية

بقلم عزمي سكر

ميز ابن خلدون نظر الايمان عن بحث العقل واوضح نطاق كل منهما . فراى ان الفكر البشري معد للعمل في العالم المادي يتناول منه الصغير والجبار كما يخضع لميزانه كل ما ينتاب البشر بما هم بشر اسوياء، من توضيح للشرع وبلورة للعقيدة ودفعته هذه الخطوة الجريئة الاولى الى استكمال التنقيب بنور العقل فارسل منه الاضواء على المجتمع الانساني ، عارضا للاوضاع السائدة والبائدة ، شارحا للنظم الماثلة والزائلة. وقد اقعد انظاره على سببية بحث ابلغته مأموله، وكشفت له عن اكثر من جديد .

وبذا رايناه يشرح البيئة الطبيعية والاجتماعية كما يذكر المجتمع البدوي في مده وجذره . ويبحث في الدولة متتبعا نهوضها وتطورها الى الانحطاط ، ذاكرا اعراض تمدنها ومظاهر تقدمها. وهو ما اسلمه الى دراسة العمران الحضري متمثلا في نهضة المدن ورفاهية الشعوب . واستنشأ موارد المعاش ووجوهه وختم مطافه العلمي فاستقرأ اصناف العلوم واستقصى طرق التعليم .

وانا لمرافقوه في شرحه وتدليله ، ومرفقون ذلك بما يستحقه من نقد وتقييم .

وفي يقين ابن خلدون ان المربي كائن ممتاز ذو مؤهلات ومهام خاصة الى ابعد الحدود . وانه قد حذق علمه باتقان فوقف على مبادئه وقواعده ، الامر الذي سهل عليه استنتاج الاجزاء من الاسس واستتباع المبدا بالتحقيق. وسما بذاك على الفهم والوعي العامين بين البشر . كما تجلى سموه في استحداثه الاصطلاحات وابتكاره الوسائل . وذلك امر غريب عن جوهر العلم ، وليس منه في شيء . فصناعة التعليم قائمة على اتقان طرق وتحصيل اسباب يتفرد باتيانها فئة هم المعلمون .

بيد ان ملاحظة الواقع تكشف لنا عن نواقص في فكرة ابن خلدون . ولسنا في سبيل الاطالة والاسهاب بل نسرع فنقرر ان التعليم في جوهره موهبة واصالة . وهي الطبيعة المطلقة مصدر الميل الى نقل الخواطر في الانسان واذاعة المدركات . وذاك لا ينفي وجود الدوافع الاجتماعية في ترقي هذه المهنة واكسابها سمة حضارية ملموسة . فمادة التعليم قائمة على طبع وصناعة متفاعلين .

ولا يغيبعنا ان منشأ التعليم اجتماعي طبيعي في العمران البشري والمرء مدعو من ذاته الى النهل من بحر من سبقه الشأن الذي جعل التعليم للعلم من جملة الصنائع . ولما كانت الصنائع لا بد لها من العلم اصبح « السند في التعليم — في كل علم او صناعة — الى مشاهير المعلمين فيها ، معتبرا في كل افق وجيل » والتعليم يتطور وفقا لظروف اجتماعية هامة . اذ الصنائع تستجاد اذا كثر طالبها ، فالعلوم انما تكثر حيث يزداد العمران وتعظم الحضارة .

هذا الانسان المتكامل ، من نذر نفسه ووقته للتعليم ، يفرض فيه الاتصاف بمناقب والتخلق بمزايا، ولعل دراسة النفس البشرية هي ابرز مشاغله ولب تفكيره . وبها يقف على تطور العقل الانساني المستمر منذ الحداثة حتى البلوغ. ويفيد من ذلك في تقريره برامج التدريس لكل مرحلة في سلم تقدم التلميذ . وهكذا يأتي الاجمال في البدء وعلى وفرة في السطحية والحسية ليبلغ ذرى التجريد المحكم في الاخير . فلا تشقى عقول الاولاد في استيعابه بل يتناغم مع شخصيتهم في حفز على التطبيق مفيد .

وهي النفس تخبر ان العقل متى احاط بمباديء علم من العلوم احاطة حسنة تاق الى استكمال البحث في تلك المسالة فيسهل الامر عليه وينجح في منهجه على نسبة شوقه ذاك .

اما ان صدمته العراقيل واضطربت عليه المفاهيم ، واغلبها ناتج عن رداءة طريقة التعليم ، فاغلق عليه الفهم الصحيح ، كل الطفل ويئس وحسب ذلك من فساد العلم بذاته فهجره وعاداه .

هذا الراي من ابن خلدون هو بحق مثار الاعجاب . ونحن لا نأتي بجديد ان اكدنا صلته بمستحدثات التربية الاخيرة . وقد اقر العلماء اليوم ضرورة بذل الجهد لحمل الولد على ان يعشق ما كان بالامس يأتيه في ارغام .

واذا فما هو مقياس العلم الصحيح ؟ وما هي شروط الحذق فيه والاستيلاء عليه ؟ وجملة ذلك غاية التعليم القديم وهدف التثقيف الصالح . ان مميزات العلم اليقيني « حصول ملكة في الاحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من اصوله » .

وكيف السبيل اليه ؟... ان اخص صفة يتسلح بها الطالب في ارتياده آفاق المعرفة السليمة ايجابية يستمدها من توجيه المعلم وجميل مسعاه. وبها يحتكم الى عقله وطراز اختباره ، فيستوضح الغامض وينفي الحيرة في تفتيشه عن ركائز الحق .

قال ابن خلدون « وايسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية فهو الذي يقرب شانها ويحصل مرامها » . وعلينا الاقلاع عن كل سلبية عقيمة يبقى معها الطلاب « بعد ذهاب الكثير من اعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون ولا يفاوضون وعنايتهم بالحفظ اكثر من الحاجة فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم » ونحن لو رمنا تشخيص مكمن العلة في هذه الازمة العضالة لما انتهينا لغير الاسلوب الخائب في التدريس . فليست عقولهم متهمة بدليل كثرة حفظهم وتفوقهم في البلاغة على حفظ سواهم .

هي الرعونة في الخطة اس الداء وباب الشكوى تبدل

ضررها وتجلى على اسطعه في استطالة مدة التعليم اذ تفاوتت بين خمس سنين في تونس وست عشرة سنة في المغرب « لاجل عسرها من قلة الجودة في التعليم » .

وبعد ، فالنفس البشرية تكشف لدارسها عن امور وخصال . وبها ندرك ان ذهن الولد صحيفة بيضاء في بدء نموه العامي . وان ما ينقش عليها بعد ذلك يسهل حفظه ويعز زواله . « ان التعليم في الصغر اشد رسوخا ، وهو اصل لما بعده ، لان السابق الاول للقلوب كالاساس للملكات ، وعلى حسب الاساس واساليبه يكون حال ما يبني عليه » . ولما كان العلم ملكة تغرس في نفس الطالب قرر نابغتنا ان اساس تركيزه قائم في التكرار والتتابع ، لما كانت الملكات في رايه حاصلة عن اقتفاء النهج عينه . « وليس الاتصاف بحاصل بمجرد العلم ، حتى يقع العمل ويتكرر مرارا غير منحصرة فترسخ الملكة ويحصل الاتصاف » .

فالفطرة بهذا الشكل تغدو استعدادا سلبيا لتلقي المعرفة . بيد ان اكتساب ملكة في فن من الفنون يضعف استعداد النفس لسواه . وما ذلك الا لان الملكات الوان النفس ، فلا تتزاحم او تتدافع « حتى ان اهل العلم الذين ملكتهم فكرية فهم بهذه المثابة . ومن حصل منهم على ملكة علم من العلوم واجادها في الغاية فقل ان يجيد ملكة علم آخر على نسبته بل يكون مقصرا فيه ان طلبه ، الا في اقل النادر من الاحوال » ويلحظ ابن خلدون ، على صحة دعواه ، ان الاجادة في فني النظم والنثر لا تتفق للفرد الا في الاقل .

والمعلم ، بعد ، ان هو احسن ملكة التعليم فادى واجبه بدقة واخلاص ، تركت الامور العلمية آثارها الخيرة في النفس ، بالادراكات الحاصلة ، فلا تلبث ان تتفجر بكثرة الملكات ، وبذلك يزيد ذكاء الانسان ويضيء فكره . فتنوع الصنائع والاكتساب المثمر للعلوم ينميان العقل البشري في نهج تصاعدي مستمر .

وأن للتثقيف دورا مخصابا آخر لا ينبغي اغفاله ، عنينا به ما يتركه من تقويم لاخلاق صاحبه غير منكر . وبذلك يبدو تأثير العلم فكريا وخلقيا مزدوجين . جاء في المقدمة « ان كل صناعة مرتبة يرجع منها الى النفس اثر يكسبها عقلا جديدا . تستعد به لقبول صناعة اخرى ، يتهيأ بها العقل بسرعة الادراك للمعارف » . فالكتابة تذكي شعلة العقل وتبعد افق التفكير والادراك الانسانيين .

يتحرى ابن خلدون البرهان في الهندسة وعلم الحساب فيطيش سهمه ويزل قدمه . في عقيدته ان الهندسة تورث صاحبها « اضاءة في عقله واستقامة في فكره » وما ذلك الا لان « براهينها كلها بينة النظام جلية الترتيب لا يكاد الغلط يدخل في اقيستها ، لترتيبها وانتظامها . فيبعد الفكر بممارستها عن الخطأ ، وينشأ لصاحبها عقل على ذلك المهيع » . ويحكي الحساب الهندسة في هذا القبيل فيطري ابن خلدون اثره العميق في ذهن المرء ولذلك ينصح بتقديم تدريسه على سائر المواد التعليمية .

قدر لهذه الفكرة ان تسود في الاوساط التعليمية خلال القرون الوسطى ومطلع الازمنة المعاصرة . وبوحيها حصر المعلمون اهتمامهم باتقان تدريس علمي الحساب والهندسة ، فاذا بالتمارين تفوق النطاق الواجب ، وبالمسائل تتعقد وبارقامها تكبر . وسرى الظن انه على نسبة العسورة والوفي ، تعظم العائده ويجود التلقين .

اما التربية الحديثة فاطاحت بكل شطط وافراط في الزعم الانف واوصت بأن « تمارين الحساب تقوي في التلاميذ القدرة على حل المسائل الحسابية ، ولا تأثير لزيادة تعقيدها وتركيبها ، مع الافراط في التجريد ، في تنمية قوى التفكير بصورة عامة ، فكثيرا ما نجد رياضيين ماهرين عاجزين عن التفكير الصحيح في موضوع اجتماعي(١) »

والنفس تسر بالادراك وتبتهج للمعرفة . وعلى المعلم استثمار هذه الخاصة في طبيعة النشء لتحقيق الغاية من تربيته العزيزة . « واعتبره بحال الصبي في اول مداركه الجسمانية . . كيف يبتهج بما يبصره من الضوء وبما يسمعه من الاصوات » .

ونراه يعترف للفلسفة بثمره وحيدة يلمحها في « شحذ الذهن في ترتيب الادلة والحجج ، لتحصل ملكة الجودة والصواب في البراهين » .

وهذا ما اسلم ابن خلدون الى بحث الصلة المتينة التي تشد العمل الى الفكر فراى ان « من شروط الصناعة ابدا تصور ما يقصد اليه بالصفة . فمن الامثال السائرة للحكماء اول العمل آخر الفكرة وآخر الفكرة اول العمل » .

نخلص من هذا الى ضرورة توضيح النظرية للحس واجادة عرض الفكرة فيتبلور الموضوع في راس الفتى ويسهل بذا الانتقال الى التطبيق .

* * *

ان التفكير المجرد وارسال النظر في الكليات هما من ابلغ خصائص البشر . بيد ان الملكة في ذلك تفصح عن الاضرار في الحقل العملي والسياسي على وجه الحصر والدقة . ان المحاكمات الذهنية الاستقرائية واشكال القياس بالمماثلة والنظائر والاشباه لا يعرضان لاي اختلاف ومغايرة . ومن هنا جاء التصميم بعيدا عن الواقع وغدا استدلال العلماء ضربا في الخيال .

وان العلماء ، الفقهاء ورجال الفتيا والامامة واصحاب القضاء والخطابة لشرف بصناعتهم وكماليتها وصون ماء الوجه فيهم عن استجداء اهل الجاه بعيدون عن اقتناء المال وحيازة الاملاك . وان ابن خلدون الكافر بانعم الحضارة يستخف بنشأة العلماء في تأديب وتعليم منذ الحداثة ويرى في ذلك حافزا للجبن وعاملا على الاستكانة في نفوس هؤلاء الحكماء

ونحن نرى أن مراقبة ابن خلدون لذوي الثقافة في بيئته هي التي حملته على التصريح بهذه الاراء المخطئة . فسدت

---

(١) واصف البارودي : محاضرات في التربية والتعليم — الطبعة الثالثة — الجزء الثاني ص ٧٤

عزيمتهم .ا: رموا الى التأمل الهادىء فى نجوة عن العمل صاخب كذي التجارة والصناعة والسياسة . فلا عجب فى ان يتحول شأنهم مع تقلب الاعصار ونشهد منهم في يومنا الحكام الصالحين والساسة الناجحين .

الا ان جهل الامة العربية وقتذاك هو المسؤول عن انحطاط حال العلماء وركود ريحهم فنكبوا فى ذات يدهم ورموا فى رجولتهم . وشهدتهم المقدمة بعيدين «عن اعتزاز اهل العصبية ، والمعلم مستضعف مسكين منقطع الجذم» .

وان نعجب لامر فانما منشأ ذلك سكوت حكيم تونس عن الاشارة الى البنات فى اطار منهاجه التربوي . وعهدنا بالتاريخ الاسلامي مليئا بالمربيات الشهيرات ذوات الاثر المستطير فى دنيا الفكر والاجتماع . وما امثال سكينة بنت الحسين ومؤنسة الايوبية وشامية اليتيمة وشهده الكاتبة بخافيات عن السواد . وان فى جهل نساء عصره وخمود جذوة التفكير عندمعظمهن اسا لهذا اللون من البحث ومنبعا لطي ان خلدون كشحه عن كل امل باصلاح .

هذا وقد عرف الفكر العربي مفكرين عظماء اولوا موضوع المرأة عنايتهم . فدعا ابن سينا الى وجوب تعليم الفتاة . كما اهاب ابن رشد بالقوم ان يعلموا البنت ما يعلمونه الذكر فيتلقى الاثنان علما واحدا .

* * *

واذا اعد ابن خلدون المربي الاعداد الحسن فاطمأن الى تثقيفه بالمبادىء الاساسية لعمله الاجتماعي الفذ وضمن له التكيف المجدي مع منطوق النفس ولوازب الاخلاق شرع يبين له القواعد فى تحقيق « صنعته » . وانها فى جملتها تنوزع بين طائفتين : فمنها النواهي يتلوها الاوامر .

يحذر ابن خلدون « معلم الصبيان » من عنف تلاميذه والركون الى الشدة فى تربيتهم ، وعلى الاخص مع الاحداث منهم . وان فى نتيجة ذلك رادعا للناهج وعبرة للبصير . فالشدة تقضي على النشاط وتدفع الى الخمول كما انها تدعو الى الكذب والخبث منجاة للطفل من قهروليه . وبذا تزين له المكر والخديعة وتحمله على اتيانها . والى هذا وذاك يعيش معها الناشىء فى جو من الجبن والخنوع يمحق معاني الانسانية فيه . « ينبغي للمعلم فى متعلمه ، والوالد في ولده ، ان لا يستبدأ عليهما فى التأديب » .

ولا يسهو ابن خلدون عن مساوىء الملاينة والمسامحة وآفات الاغضاء الخطيرة فيجعل وصية الرشيد لمعلم ولده « من احسن مذاهب التعليم » . وقد جاء فيها « لا تمرن بك ساعة الا وانت مغتنم فائدة تفيده اياها من غير ان تحزنه فتميت ذهنه ولا تمعن فى مسامحته ، فيستحلي الفراغ ويألفه . وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فان اباهما فعليك بالشدة والغلظة » .

وعلى المربي الاحتراس من كثرة التآليف فى العلوم فهي عائقة عن التحصيل . وينبغي له الا يزيد متعلمه على فهم كتابه ولا يخلط مسائل الكتاب بغيرها حتى يعيه بجملته وينال منه ملكة توضح له سواه ، فالملكة فى علم من العلوم استعداد للاستزادة منه . بيد ان التزواج بين العلوم صنيع مفيد . وفى خبرتنا ان الانتقال المثمر بين الفنون فى التدريس يكسب الانتباه اتقانا واستقواء . وما طريقة تمركز الدروس التي تحبذها المدرسة الحديثة غير مظهر عملي لهذا المضمون .

وعلى هذا السياق يوجب ابن خلدون الفصل في التدريس بين العلوم . فالخلط ذريعة الضياع لما يستلزمه من تقسيم البال وتنقله بين الواحد والاخر منها . وحسب ذلك سبيل لايصادها وخيبة الناشد .

لعل فى استطلاع ما كان يجري على عهد ابن خلدون فى حقول التعليم خير كاشف محور فكرته هذه . لقد اعنت المعلمون يومذاك الطلاب بحفظ الكتب الكثيرة فى الموضوع الواحد ، وشددوا عليهم فى استظهار ما يواكب هذا من اراء متباينة واصطلاحات متنوعة ، نشأ عن ذلك ارهاق الجيل المتعلم وخيبة امل فى الاخير .

اما فى عصرنا الشاخص وقد غزرت المراجع واحتيج الى الاستزادة فى كل علم ، اصبح الوقوف الدقيق على اكبر عدد من المصادر امرا مرغوبا فيه مع الشادين ولفيف المتقدمين . الا ان كثرة الاختصارات المؤلفة فى العلوم منحلة بالتعليم . وان حشو الالفاظ القليلة بالمعاني الخصبة الغزيرة افسد البلاغة عند المريدين واعسر الفهم الصحيح . ناهيك عن التخليط القبيح بالقاء غايات العلم قبل التهيوء ببديهياته . هذا فضلا عما يستغرقه تفهم الالفاظ الموجزات من وقت صالح ما احوج المرء اليه ! ولئن هذا الاسلوب اتبع على اتمه لما حصلت عنه الملكة الصحيحة المنشودة ، اذ هي قائمة بالتكرار والفقه الملموسين فى الموضوعات البسيطة المطولة .

وغاية الامر « قصدوا الى تسهيل الحفظ على المتعلمين فاركبوهم صعبا يعطلهم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكنها»

والى هذا يلزم المعلم الا يطيل على الفتى بتفريق المجالس وتقطيع ما بينها ، ففي ذلك محك للملكات ـ وقد عرفنا انها لا تحصل بغير الاعادة والتتابع ـ ومصدر للنسيان نابع عن البتر بين مسائل العلم الواحد .

وابن خلدون ، اذ يؤكد هذا ، يفوته ان الراحة امر ضروري يحبذه علم النفس ويدعو اليه . وبات من مسلمات هذا الاخير ان الذهن يكل عن الانتباه لاكثر من ساعة . فان صحح هذا مع اليافعين فكيف ظنك بالدارجين ؟

نخلص من هذا الى العمل الايجابي فى مجال التربية . والمعلم مدعوفى المحل الاول الى الترقي فى تثقيفه مع التكرار والتوسع المتمركز ، انسجاما مع قدرة المتعلم العقلية ومواهبه النامية . وذلك لو صلح لتمثل على ثلاث مراحل .

ففي البدء يتحتم عليه الالمام باصول العلم فى شرح مجمل يضمن له شمول ذلك العلم ويغدو من هذا الوجه على تهيوء لفهمه وتحصيل مسائله .

ثم يعود الطالب لاستبطان الفن عينه على أسلوب في التلقين اكثر دقة . وهكذا تتسع الشروح والبيانات فتقف على الخلافات فى مسائل العلم ووجوهها . وهكذا تسلم ملكته . وينبغي للطالب فى النهاية ــ وقد آذن العمر بذاك ــ ان يرجع الى موضوعه فلا يهمل عويصا ومبهما بل يستفتح مغلق الجميع ، فيتقن فنه ويتريض ذهنه .

وابن خلدون ، اذ يذكر هذا ، يشير الى اخطاء المعلمين، لايامه ، وينتقد عملهم بعنف وارشاد : وجاء على لسانه قوله : « وقد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد يجهلون طرق التعاليم وافادته ، ويحضرون للمتعلم فى اول تعليمه المسائل المقفلة من العلم ويطالبونه باحضار ذهنه فى حلها . ويحسبون ذلك مرانا على التعليم وصوابا فيه . ويكلفونه رعي ذلك وتحصيله ، ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون فى مبادئها ، وقبل ان يستعد لفهمها ... واذا القيت عليه الغايات فى البداءات ــ وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي ، وبعيد عن الاستعداد له كل ذهنه عنها ، وحسب ذلك من صعوبة العلم فى نفسه ، فتكامل عنه ، وانحرف عن قبوله ، او تمادى فى هجرانه . وانما اتى ذلك من سوء التعليم » .

وليحرص المعلم على الاستعانة بالوسائل الحسية فى تدريسه وابلاغه التعليم الصحيح ، ومن باب التخصيص مع البادئين اذ « يكون المتعلم اول الامر عاجزا عن الفهم بالجملة الا فى الاقل وعلى سبيل التقريب والاجمال والامثال الحسية . »

ولنا ان نتساءل عن العلوم الواجب تدريسها والقواعد التي يلزمنا مراعاتها للاجادة فى تعليم كل منها ، بالنظر لبعيد خطره وعميق جدواه .

يقسم ابن خلدون العلوم الانسانية الى نوعين ، فهناك العلوم الالية وتشمل النحو والمنطق واصول الفقه ، وهنالك المقصودة بالذات وفى عدادها تبرز الشرعيات والطبيعيات . وفى الوقت الذي يؤكد فيه اهمية الاولى وعظم شأنها في نضج العقل وسموه يشير الى ان الاستبحار فيها ، لغير المتخصصين من العلماء مضيعة للعمر وخيبة فى المسعى . « لان التوسع فى العلوم الالية يخرجها عن المقصود ، اذ المقصود منها ما هي آلة له لا غير ... فاذا قطع المتعلمون العمر فى تحصيل الوسائل فمتى يظفرون بالمقاصد . »

آمن ابن خلدون بان البشر يكسبون علومهم عن مجريين . فحينا بالعلم والتعليم واخر بالمحاكاة والتلقين . والذي لا ريب فيه ان الثاني منهما اوفر اثرا وابلغ نتيجة من سابقه . ولذا حبذ ابن خلدون الرحلة فى طلب العلم . فيها يلقي الطالب اساتذة جددا يكفلون له اصطلاحات وطرقا ووسائل متنوعة . ويكفيه من ذلك تضخم فى ثقافته وانعاش فى قواه الفكرية والخلقية ، من بجدة التعميم .

من تضاعيف هذه الهنات، وقد جاءت بخطوطها العراض، ينجلي مظهر خلاب لعظمة ابن خلدون ورفعة مقامه . وآية ذلك دعوته الى الفهم الصحيح لنفسية الولد والتلطف في خبرته . ولعل ابرز خطأ اتسمت به تربية القرون الماضية توكؤها على نظرية الرجل المصغر فى اختطاط المناهج واستنساب المراسيم . وان خلود جان جاك روسو ومونتين كامن ، الى مدى رحيب ، فى عملهما على كشف اغوار شخصية الطفل ، ونهوضهما ــ وامثالهما ــ للذود عن طبيعة الفكر والشعور عند التلميذ . وجاء اعلان حقوق الولد الذي صدقته جمعية الامم تكريسا لجهود هؤلاء الافراد الميامين .

وان عرف ابن خلدون بفلسفته للتاريخ وبحوثه فى علم الاجتماع ، فنحن نرى ان نظرياته التربوية لا تقل اهمية عن جانبيه السابقين . وفى ذلك ما فيه من تنويه جديد بذاك الفكر المخصاب .

**منياره ــ لبنان** **عزمي سكر**

---

ــ وما يلزمك الى ذلك ؟

ــ حتى ان حاولت فلن يمكنك .. لن يمكنك

ــ

ــ اني ابتسم لتحمسك ، لتحمسكم جميعا حين تهمون بالكتابة ، هيا اخبريهم اخبريهم .. هذه حياتي او ايامي حتى الان ، تقبي فيها ، اطرحي منها ، ابقي على بعضها او لست ادري ..

ــ

ــ لا تجهدي فكرك من اين كانت البداية ، فانا نفسي لا اعلم متى ابتدات

ــ

ــ ذاهلة انت ، قبل لحظات كنت شعلة من حماس لتخبريهم ، هيا اسرعي فطيات الاوراق تنتظر منك ان تمديها بالكلام ، هيا حدثيهم عني اما انا ، فسوف اجلس على المقعد هناك في الزاوية المظلمة ، لاني متعبة ، متعبة جدا كما ترين

ــ

ــ لا تنظري الي ليكون اخراجك للحقيقة اعمق ، الانسان موضوع صعب ، صعب فلا تنظري الي وانما ابرزي من هذا الانا ما اثر فيك وجملك تسرعين للكتابة اما ان تقولي بعد النهاية هذه انت ، انت بمجملك فلا .

ــ

ــ الانسان موضوع صعب .. صعب

ــ

ــ ذاهلة انت ، انا على حق ، الانسان موضوع صعب ولكن حاولي ، حاولي قد اجد بعض الفرح بما تعكسينه ، او لعلني اجد حلي او لعلني ازداد ضياعا ، ضياعا في كومة الايام

ــ لم يتوقف المطر منذ الصباح ، هذه آخر ليلة لي هنا ، في هذه البلدة

ــ

ــ انها بلدة مملة

ــ

ــ الضجر يخاصر فيها اليأس

ــ

ــ الشوارع مقفرة والمطر ما زال منهمرا ، وانا لا ابكي .. ولكن لماذا البكاء وغدا اباشر حياة اخرى ، حياة اريدها افضل

ــ

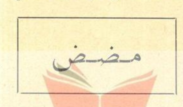
ــ لا تظني اني اشفق على نفسي ، ابدا ، كل هذا زادني خبرة مع الايام اصبحت اكثر حنكة ، اليس كذلك ؟

ــ

ــ اكثر ، حتى انه لو عاد في هذا المساء وقد اعلموه بعزمي على السفر ، فلن يهمني مجيئه ، لن اكترث به ..

ــ

ــ هناك الحياة ستكون افضل ، اليس كذلك ؟ افضل ، ان المدرسة التي




بقلم الانسة رينه عبودي



سأدرس فيها ترتفع فوق الجبل ، الجبل كله اخضر ، اخضر من كثرة الشجر ، سوف اعرف الهدوء واقرأ بوضوح ما في داخلها ، ما في نفسي .

ــ

ــ ولكن .. هذا الانفصال يعذبني ، انه طبيعي هذا الشعور ، اليس كذلك؟ طبيعي في ان اتعذب ، انه انفصال لا بد منه ، عن الوجوه عن الطرقات عن الاماكن التي اقمت فيها ، عذاب لا بد منه ..

ــ

ــ يمكنك ان تقولي باني دفعت الثمن ، اما عن الثمن فقد كان باهظا ولكني دفعته ، وادفعه ، اذكري ذلك ، ان ما اشعر به الان شعورك حين ينفصل

قصة

عن جلدك جلدك وعن شريانك شريانك .. اخبريهم ، هذا مهم ، لان في القصص تكون المشاعر مكيفة على الورق لا كما هي ، اما انا فلقد عشتها .

ــ

ــ هنا في صدري انفاس تكاد تختنق ، اخال انا لنفس احيانا ... لن يمكنه ازاحة كل ما يعيقه ليصل .. اني متعبة

ــ

ــ ولاني ادفع دائما للحياة فهي ترابط لي في كل منعطف وتتذكر دائما ديونا جديدة لها ، ولكني لا اهزم امامها ، ان المكان فسيح .. لا تظني اني اهرب من الذكرى بابتعادي ، لا ، انا سئمتها ، انا لا اهرب ، سئمتها ..

ــ

ــ لم يقل لي مرة كلمة احبك ..

ــ

ــ اخبريهم ان ذلك يحدث فقط في الكتب

ــ

ــ ولكنه كان يحبني

ــ

ــ كان كل ما حولي يهتف بي ان هذا ولا غيره ..

ــ

ــ هذا ولا غيره : حبيبك

ــ

ــ لم يقل لي مرة واحدة احبك او اقلها له ، اخبريهم

ــ

ــ لا تظني اني عدت اشفق على نفسي او عليه

ــ

ــ ليس هناك ما يستحق ذلك

ــ

ــ المطر ما زال يهطل ، ليس من امطار هناك ، امطار تقبض النفس وانما على الشرفات وفوق الاشجار ثلج ناصع البياض ، يفتح منافذ للانهاية .. ليس من امطار هناك

ــ

ــ انت ما زلت في ذهول وانا في تعب يمنعني عن النوم .

ـ كان النور فى الغرفة منخفضا وهي وحدها تجالس السكون قرب نافذتها، لقد رايتها هذا المساء وانا عائده لا يمكن الا ان ارفع نظري كلما مررت قرب داره ..

ـ عادة، اجل هي العادة، لقد اعتصرت قلبي صورتها وهي قرب النافذة لا تنظر، ارادت ان تحتفظ به، حاولت بكل ما امكنها، ولكنها ان نجحت بابعاده عني فلم تنجح فى ابقائه لها..

ـ انا غير ناقمة عليها ولم اعد احملها كل خيبتي، فلو انه كان اقوى لحافظ على تلهفي اليه وابقى على حبنا، ولكني لن احمله اكثر مما يستطيع حمله، انه ضعيف لا يمكن ان يؤلم انسانة غالية، احبها قبل ان يعرفني.

ـ ثقي باني امضي غير ناقمة او ساخطة او ثائرة، هذا كان شعوري فيما مضى، انا الان مشفقة، على وحدتها، على وحدته، ثم على وحدتي..

ـ اخبريهم عن الوحدة واطيلي، وحدة كل فرد مع نفسه، اخبريهم..

ـ غدا ساحاول ان انسى، فانهي القصة فى المحطة، حين ارفع امتعتي القليلة من على الرصيف الى ارض القطار، لا بد من نهاية لا بد من بداية .. كل هذا عبث

ـ عبث؟ لا، يجب ان يكون لكل شيء معنى والا ذهب المي وتمزقي عبثا..

ـ اوقفي القصة هنا، وحدة امه فى دار بات كثير الغياب عنها، وحدته هو فى اهواء يريد نسيان نفسه فيها، واخيرا وحدتي انا المتجمعة فى كومة ايام ترسو فوق صدري حيث يصعب ويصعب تنفسي.

حلب **رينه عبودي**

# ضيـــق

●

مارد" شرد
أقر" عزمه وتد
حطم القيدَ
ولكن
اناخ رأسهُ
سؤال غمض

تناثر فكره ومد
لملم اشلاءه
بجلد
أعاد القيد
وقعد
صابرا على ضيم
الوتد

مارد الامس
ان مررت به
وجلجلت ضحكاته
فقلبه اختنق

**البير اديب**




## سوار الياسمين

مجموعة شعرية ـ فؤاد الخشن ـ ١٣٦ صفحة ـ منشورات اسرة الجبل الملهم ببيروت ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت

اذا قدر لك ان تعرف الطبيعة فى جبال لبنان ، فى شواطئه ووديانه ، فى سهوله وروابيه ، فى سفوحه ومنحدراته ، فى اصابيحه واماسيه فلن يصعب عليك بعد ذلك ، ان « تتذوق » شاعرية هذا البلد ، وتنغمس فى اغوار الحس المرهف الذي يطالعك به شعراؤه ! اما اذا كنت تجهل تلك الطبيعة المنبسطة فى المدى ، الرحبة الصدر ، المتنوعة الآفاق ، المنطلقة مع الحنان ، المنطوية على الحنين، الباعثة فى قرارة كل من يتأملها، اروع الاحاسيس واغناها ، وادق المعاني واسماها ـ اذا كنت بعيدا عن هذا اللون من الوجود الطبيعي المتحرك الشفاف ، يصبح من العسير ان تنفذ الى « الحياة » الحارة ، المتدفقة ، الزاخرة بالحب والنور والاريحية والصفاء ، التي يصفها اهل لبنان ، ويتغنون بها ، وتتمثل هادرة صاخبة، او مطمئنة وادعة ، او مطرقة مفكرة ، فى شعر هذا الجيل من شعراءلبنان.

ذلك بان الادب لم يكن مظهرا من مظاهر الطبيعة ، وانعكاسا لتاثيرها العميق فى النفس البشرية ، وتعبيرا عن جمالها الوهاج وحسب ، الا فى قطرين : الاندلس ولبنان . وما كان للحياة ان تبدو على هذا الجانب العظيم من الالق والصحو والفتنة الطاغية الآسرة ، الا من خلال الآثار الشعرية التي يطالعك بها شعراء الاندلس قديما ، وشعراء لبنان حديثا.

وسر هذا الصحو الرائع فى الشعر اللبناني الحديث ، ان الشاعر فى ديارنا ، على صلة مباشرة بالطبيعة ، يكاد لا يغيب عنها طرفة عين ، ولا يشبع من التهام جمالاتها واستلهام الوانها وانغامها واشكالها المترفة الثرية .

بيد ان هذه الصلة الشعرية بالطبيعة ، على ما فيها من قوة وحرارة ، وبما تثير فى النفس من حب للحياة ، وتمجيد لمعانيها ، واسترسال مع افراحها ، لم تمنع اللبناني الشاعر ، من تلمس الحقائق وراء التهاويل ، ولا حجبته عن مشارفة آفاق البطولة ، والسعي الدائب فى طلب المعالي ، والتاثير الفعال فى تطوير الحياة والمجتمع من حوله .

اما وسيلته الى ذلك ، فانها لم تكن يوما من الايام ، تحويرا للشاعرية عن اتجاهها الاصيل ، اي « تفلسفا » يعتمد الخيال ، واندفاعا وراء التجريد ، وانحدارا بالشعر والفكر معا نحو الاضطراب والفوضى ، فلا يفكر حيث يجب ان « يشعر » ، ولا يشعر حيث يجب ان يفكر .

لقد كانت وسيلة الشاعر اللبناني الى التاثير فى الحياة ، منسجمة مع الشعر نفسه ، ماخوذة من صميم الواقع ، مؤتلفة ادق الائتلاف واجمله مع البناء الفني ، الا وهي « الحب ».

هذا الاستشراف للطبيعة ، وهذا الحب فى تناول الحياة ، وهذا الحنان فى التآلف مع الفن ، وهذه الحرارة فى تلمس حقائق النفس الانسانية ، وخفايا المجتمع البشري ، كلها تجدها هنا ... فى هذه المجموعة الشعرية.

والشاعر فؤاد الخشن صاحب « سوار الياسمين » فتى من لبنان ، من الشويفات : تلك القرية الهادئة الوادعة الموزعة على رواب ثلاث ، تطل جميعها على البحر ، على غابات الزيتون ، وتقوم فيها للصنوبر مناسك ، ولزهر الدفلى صوامع .

فى هذه القرية التي حبتها الطبيعة بكل ما لديها من جمالات ورياحين وازهار وغابات ومناظر مونقة نشا فؤاد ، وكانت صلاته بهذه الكائنات الطبيعية المتموجة بالوان البهجة ، الهائمة فى ظلال الندى والعطر ، اقرب واعمق واونق من صلاته بالكائنات البشرية !

هكذا كان شانه اول الامر : يتنقل ، وهو اليافع ، بين وادي ابوسمعان ووادي البئر وغابة الصنوبر ، وصحراء الشويفات ، حيث لا تقع العين الا على اخضرار دائم ولا يمر بالذهن اي لون قاتم ، حتى اذا وصل الى الاحياء اقتصرت صلاته على « قاطفات الكروم » و « جامعات الزيتون » وكلهن من صبايا الريف اللواتي يؤلفن فى الازهار باقة حية ، ثرثارة ، متحركة ، وفى الانغام انشودة متماوجة حادة ، وفى الايام ذكريات ممتعة شائقة ، فهن فى هذا الكون الشعري الذي يسبح فيه فؤاد « اشياء » كالزهر ، كالنغم ، كالذكرى ، وهو منهن امام حياة تموج ، وتخفق ، وتتراءى ، وتتوارى ، وتثير فى قلبه الحنين وتحرك فى نفسه الف معنى بدايتها الحب ونهايتها الحب .

ويمتد الزمن بفؤاد ويمتد .. وصلته بالاحياء تستغرقها الصبايا من جهاتها الاربع ، فبعد قاطفات الزيتون ، وعاملات الكروم ، يجد هذا الشاعر نفسه مع « التلميذات » الصغيرات ، اذ تشاء المصادفة ان يتلقى دروسه الاولى فى مدرسة مختلطة ، يزيد فيها عدد البنات على البنين .

ونحن نعلم ان الذين ينشأون ويحيون فى جو نسوي ، تفضي بهم نشاتهم هذه ، الى رهافة فى الحس ، وتمرس بتفاصيل الوجود ، وانسياب ناعم رقيق مع الحياة وراء الجمال ، وتعقب لآفاقه ، وافتتان بخلقه وتجدده .

ليس غريبا اذن ـ وتلك هي حال فؤاد فى صباه الاول ـ ان يطالع شاعرا عاطفيا يمجد الحب ، ويغنيه فى كل ما يقول .

والشاعر فى بلادنا ، شانه فى اكثر بلاد الارض ، لا يجد فى مستهل طلوعه اقبالا يثير حماسته ، ولا يلقى من الآخرين ما يشد عزيمته ، فاذا احس بالفتور من حوله ، ولا بد من ان يحس به ، ارتد الى ذاته ، وراح يبني منها وطنا لا يشعر فيه بالغربة ، واوغل يسامر النجوم ، وينشد الانفراد ، ويتلهى بالخيالات والمعاني والالفاظ والافكار .

وما كان فؤاد ليشذ عن هذه القاعدة ، وشعوره بالغربة الروحية كان ـ وهو الذي افاق على الحياة من خلال الحنان النسوي ـ فى منتهى المرارة ، بيد انه اخذ ينشد السلوان ، سلوان هاتيك الغربة ، فى مغاني الطبيعة ومجاليها وليس « الغدير » سوى منظر طبيعي تعرفه الشويفات كان يهرب اليه فؤاد حين يضيق باهله ، او يضيق اهله به !

هذه التجارب البدائية ، التي لا تخلو منها حياة شاعر ، تطبع هذه الاشعار ، فى هذه المجموعة ، بطابعها الاصيل ، غير انها تصبح ، على يد فؤاد ، غنية الى حد الترف ، وهاجة بالحياة الى حد الاحراق ، فما تقع فيها الا على طبيعي ، ولا تحس وراءها سوى الصدق العاري الذي يشف بعريه ، بمجرد عريه ، عن شاعرية اصيلة خالصة .

وشاعرية فؤاد تحوم ، على انها انبثاق عن الجو اللبناني الذي نمت فيه ، فوق معالم صباها ، وايا منشاتها ، انى اتجهت ، وكيف توجهت ، فهي فى « فنزويلا » حيث اقام الشاعر سنوات من عمره ، عينها فى لبنان نفسه ، ينضاف اليها الحنين كتجربة حية ، وهي مع « مورينا » الاندلس نفسها مع اي صبية من صبايا الشويفات .

هذه الاصالة فى شاعرية فؤاد ، بكل ما تحمل الاصالة من طبيعة ورقة وصدق ، هي التي جعلته لا يتقيد بعمود الشعر العربي منذ شب عن الطوق ، وهي التي جعلت لشعره موسيقاه الخاصة ، فكان بها مجددا دون حذلقة او تفلسف أو تكلف فى تطبيق نظريته :

من تبرين بها ؟
من توقظين ؟
نظرة فى عمقها
جوع السنين !
ولمن فى المعصم الحلو
سوار الياسمين
ولمن غمازة ؟
ضمت على فيء الحنين
ولمن انت من الناس ؟
ترى ... من تسعدين ؟

الا تسمع وراء هذه الانغام ـ نحن هنا فى عالم النغم الصرف ! ـ دفق الاحساس فى كل صورة ؟ ألا تجد ان هنا ، فى هذه الكلمات القليلة ، فتاة صفيرة بكل خصائصها الجمالية المثيرة : النظرة،المعصم، الغمازات..؟

ـ هذا يعني ان قوة « الايحاء » فى شعر فؤاد لا تقتصر على اصالة موسيقاه وتجدده الطبيعي فى التقاط اللحن ونقل احاسيسه ، وانما هي الصورة ايضا تفعل فعلها فى اعطاء هذه الاشعار الوانها المميزة ، واشكالها الناعمة . وذهن فؤاد الذي شارف الطبيعة فى مختلف العواصم، وتنقل فى عديد المناخات ، مليء بصور لا سبيل الى حصرها .

لذلك ، اي لهذا الغنى فى الصور الحقيقية الواقعية ، تجد شاعرنا فى مجموعته هذه ، بعيدا عن الايغال فى التخيل ، والتنقيب على الصور الفاتنة . واية حاجة به الى الخيال ، وهو اذا غرف من واقعه ، واستقى من ذكرياته ، يقدم لنا ما لا يبلغه خيال ؟!

واذا كان هذا الشعر لا يذهب فى العرض تصورا وتخيلا ، نتيجة غناه بالواقع ، وصدقه فى التصوير ، وبساطته فى التعبير ، فانه يفوص فى العمق تحليلا لحالات النفس ، وتبيانا لاحاسيس المرأة فى اكثر من موقف ، وقد تعود شعراؤنا ان يتحدثوا الينا عن شعورهم ، وقليل منهم من وصف شعور المرأة ، وحنا على سريرتها يحاول ان يبين ما يعتلج فيها . وفؤاد واحد من اولئك القلة المجيدين ، فى هذا الحقل الجديد . ولن يفوتني ان اشير اخيرا الى ثقافة فؤاد واطلاعه على ادب الاسبان والفرنسيين وغيرهم ، مما يزيد فى غناه الشعري واخصاب قريحته .

وستجد مصداق هذه الميزات كلها فى قصائد مجموعته الاولى « سوار الياسمين ».

**عبد اللطيف شرارة**

•

## قبل لا تنتهي

مجموعة شعرية ـ كمال فوزي الشرابي ـ ( لم يذكر الاستاذ عبد الاحد عدد صفحات المجموعة واسم الناشر واسم المطبعة واين طبع )

قضيت ليلة ماتعة مع الديوان الانيق « قبل لا تنتهي » للشاعر الرقيق كمال فوزي الشرابي ، شاعر الحب والفزل الهفهاف .. شاعر مرهف الاحساس ، فياض الخيال ، دفاق المعين ، يسقيك من دنانه خمرة معتقة حتى تثمل ، ويسمعك انغام الحب ، والحان الهوى ، فتنقلك الى دنيا الاحلام ، وعوالم السحر ..

كنا نقرأ بين الحين والاخر هذه القبسات المضيئة ، وتلك النفثات النابضة بالحس .. والجمال ، المنبعثة من قيثارته على صفحات الجرائد والمجلات ، فكانت تسكرنا كلماته الجزلة العذبة، وآهاته الشعرية الرقيقة، تلك الانغام التي طالما تذوقناها وعشقناها ، اطلت علينا اليوم بحلة قشيبة وصور جميلة مجتمعة فى اضمومة « قبل لا تنتهي » ابدعتها شاعريته الخلاقة عبر اسماء الحب والجمال والخيال النشوان .. وكأني به رسام غمس ريشته فى قوس قزح ونثر ما علق بها من الوان زاهية على الطرس فجاءت لوحات حية جميلة تمور باللمعان وصور اخاذة تتألق بالابداع والاشراق فضلا عن انها تحكي اقاصيص حب غفا على صور الطبيعة فى اسلوب رشيق وعبارة سخية .. وقريحة حية ..

لقد استمد شاعرنا قصائد ديوانه من تجاربه العديدة فى الحب والمعاناة .. وهذه الظاهرة تبرز جلية من خلال ابياته وقد ملكت احاسيسه وامتزجت به امتزاج الماء بالراح فحلق فى هذا المجال واجاد التصوير بدقة ورقة بالغين .. فاسمعه وهو ينشد فى اول قصيدة من قصائد الديوان بعنوان « شكرا لانك جئت » ...

وحين تجيئين يا حلوتي
يجيء الربيع الى غرفتي
وتفزل روحي فى فرحتي
باشواقي الحمر ، اغنيتي
وفى لهفة حلوة صادية
اضمك بين حنايا الضلوع
ونتهد فى قبلات عماق
ونسبح فى كلمات اشتياق
وثغري وقلبي واشياء بيتي
تتمتم
« شكرا لانك جئت »

كلمات عذبة متناسقة .. فيها رنة موسيقية ونغمة حلوة كأنها سينفونية ملونة .

اما قصيدته التي عنون بها اسم الديوان فقد كانت من اجمل القصائد وخاصة فى المقطعين الاول والاخير منها ..

« قبلي كحبي يا حبيبي »
قبلي انا لا تنتهي
خذها ممطرة بطيبي
وكما تريد وتشتهي
قبلي كحبي ليس تنسى
قبلي معتقة بخمري
ستظل تذكرها ولو
قبلت الف فم وثغر

ان من يقرأ هذه الابيات تنتابه رعشة حالمة ، ونشوة عارمة ، ويرقص قلبه طربا لها ويفرق فى اغماءة سكرى ..

واخيرا ينقلك الشاعر من دنيا الحب والفزل بالمرأة الى التفزل ببلاده وحبه الجم لها فكانت قصيدته الاخيرة المسماة « بلادنا الجميلة » مسك الختام رائعة كروائع ( رأس شمرا ) حيث يقول فى اخر مقطع :

« شطآنها مسارح العقيق والذهب »
مراكب قد ابحرت الى الدنى ،
حاملة حضارة العرب
والفكر والسنا
والخير والفنى
وما اسمها اول ابجدية
واول ملحمة شاعرية
شطآنها مراكب كانت فكان
من بدئها
من فتحها
من نورها الزمان

اما ما كتبه الاستاذ شاكر مصطفى عن شاعرنا بالعدد الاول من مجلة

الآداب اللبنانية الصادر في شهر كانون الثاني ١٩٥٥ فقد جاء مصداقا للواقع اذ استطاع ان يختصر في كلمته شاعرية الاستاذ كمال فوزي فقال : « وكمال فوزي انه ايضا من دعامات الرمزيين .. وما تزال ترن في اذني قصيدة سمعتها منه ( الخمرة السوداء ).

على ان قصائده لوحات ، والصور عنده ليست مجرد جملة موحيـة ، ولكن مجموعة خطوط والوان ورعشات ..»

ان شاعرنا الخصب كمال فوزي ، ثروة لنا في مملكة الحرف القدسي الذي يرفد الكلمة الطيبة تلك التي كانت في البدء .

فكان معها كمال فوزي .. شاعرا انسانا . وانسانا فنانا يضع اللفظة والصورة لاسلوبه ويهيم مع مواكب الجمال عبر الملكوت ، ان الكلمة الموسقة في « قبـل لا تنتهي » تفعل فعل السحر في النفوس فشكرا للشاعر الطيب ولكلمته الطيبة ..

دمشـق | يوسف عبـد الاحد

•

## مجـامـر

مجموعة شعرية ـ جورج غانم ـ ١٤٤ صفحة ـ المطبعة المخلصيـة بصيدا لبنـان

يمثل جورج غانم ، الشاعر اللبناني ، بل الاديب اللبناني ، الذي تصطدم انطلاقته المحلقة بقيود قد تعيق عطاءه الخلاق . فهو وراء اسوار من نفسيته القلقة ، التي لا ترضى مطلقا بان يشلها القلق ، فتمني نفسها بالامل . ولا يكتفي الشاعر بمعاناة تجربته النفسية الخاصة ، بل يتعداها الى تجربة غيره من الناس ، فيتألم بالمهم ، ويعدهم بالفرج الذي يعد ذاته به ، فيجعل نفسه صدى الآمال ، ويطلب من كل شاعر ان يكون داعية خير ورجاء .

وكما يصطدم جورج غانم بالعوائق النفسية ، والخارجية ، يصطدم ، كذلك ، بالارض ، عنصر جسده ، فالجسد ابن الارض ، يخرج من جوفها، ولا يلبث ان يثقل عليها ، فترجو زواله ، لانه ، مع ثقله ، لا ينفع . والارض لا تحس بالروح واعمالها ، تلك القوة التي تمد الشاعر باجنحة للتحليق في اجواء الخيال . ويقع الشاعر في حيرة .. أيحب الارض ؟ يعني الجسد ، وكيف لا يحبها ؟ وهي أليف روحه ورفيقتها ، وهي الآلة التي تنقل اماني الروح في الحياة الدنيا .. أيمقتها ؟ وكيف لا ؟ وهـي مصدر شر وقذارة يعيقان الروح في تحليقها فيقول :

امقتهـــــــا لكننـي احبهـا فاخشع .

وروح الشاعر كالفراشة لا تستطيع ان تطيل المكوث في مكان واحد ، فقد تفارق ربيعا من الحياة يموج بالبهجة ، وتكلله الرياحين ، لتفتش عن تجربة جديدة . تغيب روح الشاعر في الافق ، وعينها عالقة بمراتع انسها ، وسعادتها ! هل تعود ؟ كلا ، فانها لم تخلق الا لتضحي بسعادتها في سبيل فتح ابواب سعادة جديدة لغيرها . ويفتح الشاعر باب سعادة، فيرقص الوجود نشوة على انغام قيثارته ، التي تواكب اغاني الناس الهانئين ، وقد امتلأت انفسهم بمباهج الدنيا وخيراتها ، ورضوا بقسمة الله ومشيئته ، ولكن الشاعر نفسه ، لا يلبث ان يستفيق من سكرته ، فتعود اليه الشكوك ، ويحوم فوقه شبح القلق ، وينظر الى خيرات الدنيا وانسانها ، وتبرز امامه صورة من البشاعة الى جانب الحسن ، ويرافقه الناس في تجربته ، فيطلبون من الله ان يعدل احوالهم ، ويجمل وجودهم، وماذا بقي لهم غير الرجاء والامل ؟

وعندما تكتئب نفس الشاعر ، تمر فوق الكون ضبابة قاتمة فتظلله ، ويبطىء الشباب في حركته ، ولكن هذا الوجوم ، عند جورج غانم ، ليس وجوما سلبيا ، ساكنا ، بل هو سكون ايجابي : فالخريف يخمر الامكانات، فتتزايد ، ويطمر الحبة في التراب ، فتتكاثر ، ويزيد قوة الانسان بفسحه له مجال راحة ، ويهز الطبيعة هزة عنيفة ، فيذكرها بوجود مخلوق لا يني يحاول قهرها . وربما مرت بالشاعر تجربة تهد قلبه حزنا ، فيستسـلم لها باكيا ، وهو الانسان الرقيق الشعور . ولكن هذا الاستسلام للحزن ، ولليأس احيانا ، لا يلبث ان ينجلي بشعاع من الامل والرجاء . واذ يجيء الشتاء ، بعد الخريف ، يزيد نوح الشعراء ، عادة ، لان الشتاء ، بنظرهم ، هو واضع آخر خشبة في نعش الوجود . اما شاعرنا ، وان جعل الشتاء آخر مرحلة من مراحل حزنه ، فان هذه المرحلة ، مع شدة وطأتها ، ضرورية لمتابعة عمل الخريف : فالشتاء يبشر باستفاقة عامة لمرافق الوجود جميعا .

واذ يفتح الشتاء ، امام الشاعر ، باب الرجاء ، تعود البسمة الى محياه، وتمر في ذهنه ابهج الذكريات ـ وهكذا الانسان ، اذا فرح، استرجع في ذهنه كل ما يزيد هذا الفرح رسوخا ، واذا حزن ، مرت امامه مواقف حزن سابقة ـ فيرى نفسه ، وقومه ، في خير حال ، ويسترجع امجادهم، وبطولاتهم ، وتنفتح امامه مجالات واسعة لمتابعة عمل السلف ، ويبدو كثير التفاؤل ببني قومه ، وكفاياتهم . واول ما ينتظره من بني قومه ، ان ينهضوا من عثرة كبوا بها في فلسطين ، عندما « ألحدت السماء » ، بل هي غربة، والغربة الى حين. ولماذا لا يعودون الى وطنهم السليب ، وتاريخهم حافل بالانتصار ، وبرود الارض ، حيث كانوا يشيدون اوطانا جديدة ؟ وينتشي الشاعر بخمرة الانتصار ، فيرى الشعب العربي ، بعد عودته ، شعبا جبارا تذكرنا اعماله باعمال جدوده المتفوقين . والقـوة تقوم على الفضيلة ، غير ان الانسان ، القائم على مادة ضعيفة ، قـد ينجرف في تيار المعاصي والآثام ، فيحس بانحطاط في قواه وتطمع بـه الخطيئة ، فتلح عليه في ان يفتح لها صدره ، وتسأله ان يتنعم بما تقدمه له من موت بطيء ، فتدوخه ، ويعود الى نفسه ، يصارعها ، ويأبى ان يفتح للخطيئة بابه ، والله لا يترك خائفيه ، فيمد له يدا بيضاء ، ويتعهده بنوره في نهاية الصراع ، فيتقبله هانئا سعيدا ، وضانا بقوته ان تهرق على مذبح الشهوات ، فغايته بعيدة ، وهو بعد في اول الطريق .

ويتقدم مستهينا بالصعاب ، يحطم السدود والحواجز ، ويتعب من قوته ، لانها لا تعرف حدا في اندفاعها ، وفي اهدافها . يسير ، وحـافز الاجداد يشد ازره ، ويكتشف الافاق الجديدة . ولكن الشاعر ليس انانيا ، واذا سار في الطليعة ، فهو يمهد الطريق لقوافل تتبعه ، وتهتدي بهديه ، ويخشى ان تتيه فيتيه الناس الذين يتبعونه ، يخاف ان يضيع ويغرق في الظلمات ، لانه يسير في المجالات الفساح ، مستندا الى قـوة الهام غامض من عبقريته ... ويطرد هذه الخواطر السوداء بالمحبة ،التي تزيد من قوته بمؤازرة اصحابه ، وبالامل المشرق . وتعظم ثقتـه بنفسه بعد النجاح المتواصل ، فيتشامخ ، ويتعالى ، حتى يحس بنفسه بعض اجواء النبوة . ويكاد ينسى انه انسان ، فهو الرياح الهائجة ، والقوة الهائلة الغاشمة ، التي تثور في الطبيعة ، فتقلقل سكونها . وتتحدث الغادات عن هدوئه القديم ، ومنفعته الشاملة ، وخلوص حبه ، ورهافة شعوره ، فاين هو اليوم منه بالامس ؟ لقد اضلته ثورة الطموح ، فانقلب من : « تاج غار » الى « مارد مغمس بالعار » . وكأنه يبارك اللعنة ، التـي جعلته يمثل لصديقته الانسان بوجهيه فلا يغرنها من بعد ..

ولكن ، ألم يقس عليه الناس في حكمهم ؟ فليست هذه سجيته ، وهو الطفل الذي يجرح الحنان قلبه ، وتكتوي عيونه بالنار ، وهو الذي احبه الكل ، واعجب به ، غير ان الاقدار لعبت لعبتها ، فشوهت وجهه ، وألقت به من سماء عليائه الى التراب ... سقط الشاعر على الارض ، وراح يدور في حوامة وجودية ، وعادت تشتعل في دمه ذكريات الارض ، فتغذي جسده بشهواتها ، واخذ يعب منها ووجهه الى العلاء ، ولا غرابة ان لم ينس ماضيه ، وهو حافل بالمآثر . ويدخل بستان المرأة ، فيقطف منه اشهى الثمار ، ولكنها ثمار حلوة مرة ، كما وصفها ابن الرومي من قبـل .

والشاعر يفتش في المرأة عن وسيلة لارواء وجوده ، وتسبيب سعادته ،

والمرأة مصدر سعادة ، ولكن الشاعر يضل ، اذ يحسب السعادة في جسدها المعرى ، فيقبل عليه بلهفة . ويحس في النهاية ان في يديه سعادة زائفة ، وانه يتخبط في دناءة مخزية ، فيعود الى الوراء ، وينظر الى المرأة من بعيد ، بعد ان يغلفها باطار من الروح ، فتبدو له روعتها ، ويظهر له اشعاعها على الوجود ، فيرتفع واياها في نشوة السعادة الحقيقية ، ويعرف الحب . وبعد ذلك يقرب من المرأة ، ومهما دنا منها تبقى بينه وبينها فسحة جعلها جبران آية الحب الصادق ، واساسه ، واضحى جسد المرأة في عينيه ، قدسا حريا ، بالتأمل ، واصبحت الاصوات بينه وبينها هينمات معطرة ، تملأ الجو طهرا ، ويتجسم الحب بطفل ، فيزيد قوة ونبلا ، ويزيد الشاعر اعجابا برفيقة روحه ، التي ترفعت عن اللمس ، وبقيت موضوع وحي والهام ، فوقف الشاعر ازاءها ، واخذ يغني لها شعر المحبة ، الذي يعرب عن افتتانه ، وتقديره . وبلغ الحب قمته ، ففدا الحبيب علة وجود حبيبه ، وملأ كيانه ، واصبحا جسدا واحدا ، وتعاليا الى السماء الصافية .

وبعد ان نصل مع جورج غانم الى آخر المطاف ، يعود فيظهر لنا في قصائد قصيرة بمظاهر نفهمها بسهولة ، وقد توضحت لنا معالم شخصيته، فنمر من جديد في طموح ، وحزن ، ورجاء ، وامل ، وهجرة ، وخطيئة ، ووفاء ، وكتمان ، ويأس مظلم يتعلق بذيله رجاء .

ولا ينتهي الكتاب هنا ، فالتجربة القاسية ، التي مر بها الشاعر ، بين يأس ورجاء ، وغربة وعودة ، واكتشاف وفتح ، زادت شخصيته غنى، ومواهبه تفتحا ، وعقله نورا ، فوقف بين الناس ، يخاطبهم كرسول، بلسان ذهبي ، لا ينطق الا بالشعر الملهم ، والشعر ينقاد له مطواعا في قوالب جديدة ، تخالها قوالب النثر ، وهي مثال الشعر المصفى. ويتقمص الشاعر شخصية مسافر ، ويخاطبنا من خلالها ، فيظهر لنا شقاوته ، واغتراره بنعيم البلاد الغريبة ، التي يلقى الامرين فتى اصبح فيها ، يلقى الجوع ، والعطش ، والاحتراق ، وضياع العمر ، فالحنين الى بلاد حضنته ، ولا تزال تفتح له ذراعيها ، ينغص عليه كل حياة خارج ارضها : فالغربة صحراء كاوية ، والوطن واحة خضراء ، تشد الانسان اليها باواصر لا تزال تجذبه مهما بعد . ويعود المسافر الى بلاده ، فيغيب في عنقودها ، وينبوعها ، وشلالها ، ويخاطبها مخاطبة العاشق الولهان ، والصدي ، الذي شربت من حلقه نيران الغربة . ويقول لها انه اذا فكر بالاغتراب بعد اليوم ، فليزين موطنه بمسماته . ولا تطيق البلاد فكرة غربة جديدة ، فترجو المسافر الا يترك لها سترا الا ويهتكه ، وان يعمل مطامعه القاسية في ارضها ، فهي مستعدة ان تتفانى في سبيله ، ولكن ، دونه والسفر . وكالبائسة اليائسة من وصال حبيبها ، تقول البلاد لابنها ، وقد بدا منه قبس اقتناع : « هانذا خصيبة مثل الربيع » . ويدير المسافر ظهره لتوسلاتها ووعودها ، ويرجع الى الصحراء المسقمة المذلة ، ويشكل عنقودا خارج اسوار الكرمة ، وينقص عقد اللؤلؤ في معصم بلاده حبة اخرى .

وما ان يصل هذا الانسان العاق الى الغربة ، حتى يحس من جديد بالنار تلهب احشاءه وبغراب البين ينعق فوق راسه بصوته الاسود ، فيقوم هائجا يزمجر ويهدد المطامع البراقة بهمة جبار ، وعزيمة لا تقهر ، ويتوعد الوهم المضل ، ويفضح سر الغربة المقيت ، ويشهر بشاعتها . ويعظم في وجه بلاده افضالها وامجادها ، فيهيب بها ان تحتل المركز اللائق في تاج الشمس . ويقف في المغتربين رسولا داعيا لعودة نهائية تعلي الرؤوس ، وتفجر خيرات الوطن .

ولما كان كتاب مجامر صراعا بين اليأس والامل ، وبين الرجس والطهارة، والعبودية والحرية ، فلا عجب ان رأيناه يختم بالتفاتة الى الطفولة ، وهي البراعم التي تركز عليها الامة غدها ، وتتوسم فيها طلائعه . والطفولة في مجامر ، لم تجتنب قلق الغربة والقرار ، وقلق المصير ،ولكنها في كل حال تبقى رمز الامل ، والبراءة والحرية . فالطفولة مصابيح منيرة يستضيء بها الانسان في طريقه الى ربيع الحياة ، وهي تشبه الشاعر من وجوه كثيرة .

وكتاب مجامر ، من اوله الى آخره ، يشكل تجربة متسلسلة المشاهد والاحداث ، تعتلج فيها ثورة انسان طامح ، يتقدم محطما القيود والاوهام، ولا يهدأ الا ليثور من جديد . وهو الانسان الشرقي ، الذي غطت حضارته، التي نهل منها الغرب ، قشرة متحجرة من التقاليد العمياء ، ولم يستطع، مع شدة وطأة هذه القشرة عليه ، ان يتخلص منها ، وراح يتخبط ، يائسا مرة ، وآملا مرة اخرى ، وكثيرا ما اضطر الى السفر البعيد ، الى بلاد تعرت من ثوبها البالي ، فشاهد الخلاص بعينه ، وحسد الغرباء. ولما عاد الى بلاده ، وجد نفسه تتقيد من جديد ، وتسير في تيار العبودية. وما زال الشاعر يحاول ، ويجهد ، متسلحا بالامل ، حتى عن له من بعيد نسر مهيب يصفق بجناحيه ، مقبلا نحو الشرق ، ومبشرا بالحرية . وكأن هذا النسر ، عند الشاعر ، صاروخا ، اشعلته مجامره ، بعدما كثرت وعظم سعيرها ، فاندفع بقوة ، وراح يعمل في قشرة الشرق دقا وتكسيرا .

هذا هو تلخيص لفكرة كتاب مجامر ، وقد اخبرت برحلتي فيه ببعض ما شاهدته في طريقي ، وطريق مجامر مهيع يزخر بالاشياء الرائعة الفتانة. والكتاب يمثل معاناة فنية صادقة ، فانت تحس بروح الشاعر في كل كلمة من كلماته . ومهما اعدت الرحلة فيه ، فلا بد لك من ان تكتشف ، كل مرة اشياء جديدة ، تقوي تأثيره في نفسك . ويزيد من جمال الرحلة فيه لغته السهلة على جزالة ، وموسيقاه الحلوة الساحرة ، التي تتنوع بتنوع المشاهد والاحداث .

**وليم الخازن**

---




## اللغة العربية بين التعديل والتسهيل

احب ان اشير فى مطلع حديثي ، الى حقيقة كثيرا ما تغنى بها ، وما زال يتغنى بها ، رجال اللغة العربية وعلماؤها فيقولون ، وهم على حق فى قولهم :

ان هذه اللغة العربية هي ارقى اللغات السامية ، وهي من ارقى لغات العالم . لها ميزاتها الخاصة بها وهي كثيرة . وهي لغة مرنة ، واسعة الاشتقاق . وهذه المرونة ، وهي السعة فى الاشتقاق هما من اسباب نموها وتقدمها . وقد ساعداها على ان تكون لغة القرآن والحديث وما فيهما من معاني دينية وتشريعية واجتماعية .

ولا يستطيع ان ينكر منكر ان هذه اللغة العربية استوعبت ، فيما مضى ، علوم فارس وحكمة الهند واليونان ولم تمض المئة سنة الاولى من ملك العباسيين ، حتى كانت جميع الثقافات الاجنبية ، فى ذلك الزمن ، مترجمة ومدونة بلغة عربية مشرقة ، فرضت نفسها ، فيما بعد ، على العالم المتمدن آنذاك .

فكيف استطاع العرب ، فى قليل من الزمن ، ان يعبروا بهذه اللغة عن نظريات اقليدس الدقيقة ، وحساب الجيب الهندي ، وان يترجموا فلسفة ارسطوونظريات الهيئة لبطليموس وطب جالينوس وغيرهم كثيرين ؟

يخطىء من يظن ان اللغة العربية فقيرة لا تصلح لبحث الامور الفلسفية المعنوية . ان فى هذه اللغة كثيرا من الصعوبات كما سنرى ، ورغم ذلك فهي من اقوم اللغات ومن اكثرها مرونة ، وادقها تعريفا . فان لم تساير ركب الحضارة الحاضرة فليس ذلك لعلة فيها او فى طبيعتها ، بل لعلة فى ابنائها وفى علمائها ، الذين سدوا على انفسهم منافذ النور وراحوا يجترون الماضي وعلى ابوابه يتسكعون !

هذا راي له وجاهته ، وله وزنه ، يقول به فريق كبير من ابناء هذه اللغة الذين درسوها وحذقوها فاحبوها بكل ما فيها وآمنوا بها ، وعملوا، وما زالوا يعملون وسعهم لنشرها وتعميمها .

ولكن هناك فريقا ثانيا لا يؤمن بما يؤمنون ، ولا يقول بما يقولون ، وله فى ذلك ، رايه وقوله . يقول هذا الفريق :

ما هذه اللغة العربية التي وصلت الينا عن اهلها العرب ؟

وهل هي لغة واحدة ام هي جملة لهجات ؟

ما هذه المفردات التي تضمها المعاجم ، وهي لا تقع تحت حصر ، ولا يجمعها جامع ؟ لم وصلت الينا كلها دون ان تمسها يد فتغربلها وتنخلها لتذهب بغثها وتبقي على سمينها .

لقد مضى على هذه اللغة العربية ما لا يقل عن ١٥٠٠ سنة وهي لم تتغير ، لا فى مفرداتها ولا فى علومها ، فهل هناك ما يضارعها من بقية لغات العالم فى هذا المضمار ؟ اليست اللغات كائنات حية قابلة للتطور والتقدم والاخذ والعطاء ؟ فلم تبقى لغتنا العربية طيلة هذا الزمن جامدة مثل هذا الجمود ، محنطة مثل هذا التحنيط ؟

كان الاولون ينطقون بها ويتفاهمون بالسجية فلم يجابههم فى تعلمها ودرسها ما يجابهنا نحن اليوم من صعوبات ، وفى مقدمتها ان نتعلم عشرات من اللهجات القديمة ، وقد اختلط بعضها ببعض فكونت هذه اللغة العجيبة . فكيف السبيل الى درسها وتعلمها واستساغتها ؟؟

ثم يضيف هذا الفريق ، وهو فريق عنيد ، قائلا : « ولهذه اللغة العربية آفة خبيثة هي رسم كتابتها . هذا الرسم هو علة العلل وأس الداء ورأس البلاء ، انه سرطان » .

( راجع عبد العزيز فهمي فى كتابه : الحروف اللاتينية ) . ويقول علي الجارم فى تقريره الذي قدمه للمجمع العلمي فى ٢٤ ابريل ١٩٤١ :

« لقد اصبحت القراءة العربية ، لغزا من الالغاز وعملا علميا دقيقا ، كثير التعقيد والتركيب ، انك لا تستطيع قراءة العربية على وجهها الا اذا كنت لغويا صرفيا نحويا معا » .

فما هو الدواء الناجع لهذه العلة اذن ؟

قد يكون هناك علاجات كثيرة فى مقدمتها تبديل الحرف العربي بحرف لاتيني . فما قيمة هذا الرأي ؟ وما هي حسناته وسيئاته :

حسنات الحرف اللاتيني :

ان حجة المقترحين استعمال الحروف اللاتينية لكتابة اللغة العربية تنحصر فى الحسنات التالية :

– يسهل الحرف اللاتيني رسم الكتابة العربية ، ويصبح لكل حرف صوت قائم بنفسه يقي القارىء اللحن والغلط .

– وليس ضبط الكلمات فى اشكالها وتبيان حركات حروفها زخرفا ، كما قد يتبادر الى ذهن البعض ، بل هو ضرورة ، فى عرف المقترحين .. « نحن مدفوعون اليها دفعا نفسانياً لا يقاوم ، ولا يصادر ... »

– فى استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية نعمل على ايجاد حروف تقوم مقام الحركات او ( حروف الحركة ) . وبفضل هذه الحروف فى اللغات الاجنبية نرى ان الغربي لا يخطىء فى نطق العبارات عند القراءة بعكس العربي الذي يكاد لا يسلم من اللحن مهما كان متضلعا من علوم اللغة .

– يقول اللغويون ما معناه ان فى العربية نحو ثمانين الف اصل ، كلها حروف نغمات جوهرية ، خالية مما يوجهها من حروف للحركات ، لذلك فهي قابلة للكثير من التصحيف .

– فى استعمالنا الحرف اللاتيني فى كتابة العربية نرمي الى الكتابة المثلى، هي ما يكون فيها لكل حرف صوت خاص به ، او يكون فيها لكل صوت حرف يدل علية دلالة واضحة . وهذا ما تضمنه لنا الحروف اللاتينية .

– القراءة المثلى هي ان تقرأ كما تكتب ، وان تكتب كما تقرأ ، فهل هذه هي الحال فى قراءة اللغة العربية ؟ ان الحرف اللاتيني يدخل صورا مستقلة للحركات ( الفتح والضم والكسر ) ، وبذلك يساعد مساعدة فعالة على القراءة السريعة فيقضي ، بالتالي ، على الامية . هنا ، على ما اعتقد ، اهم ما يقول به انصار الحرف اللاتيني والداعون اليه . فلننظر فى ما يقوله خصومهم .

سيئات الحرف اللاتيني :

– للغة العربية فلسفتها ، وشكلها ، وروحها كما هي الحال فى كل لغه من لغات العالم . فاذا ما استبدلنا الحرف العربي بحرف لاتيني فكأننا البسناها غير لباسها .

– واللغة العربية هي لغة عربية والاحرف العربية هي احرف عربية. فلماذا يريد انصار الحرف اللاتيني ان يبدلوا اللغة هذا التبديل الشنيع فتصبح نصف عربية ونصف غربية ؟

– وهذه الثروة الضخمة من المؤلفات العربية ، القديم منها والحديث، كيف ننقله الى اللغة الجديدة المقترحة ، ومن يقوم بنقله ؟

– ومن يكفل لنا صحة النطق نطقا عربيا فصيحا بالقاف والضاد والعين والحاء والذال وغيرها من الاحرف التي مهما حاولنا ان نبقي النطق بها على اصله ، فيفسد ويشوه تشويها مضحكا .

ـ كذلك قد يفسد الحرف اللاتيني اوزان الشعر .

ـ ان للحروف العربية جمالا فى كتابتها وتزويقها ان مطبوعة او مكتوبة، فلماذا يريدوننا ان نتنازل عن هذا الجمال فى الكتابة والطباعة ؟

ـ كذلك يجمع رجال الفن على انه ليس هنالك لغة توافرت فيهـــا الزخارف الهندسية فى الكتابة كما توافرت فى اللغة العربية ، (( كما انه ليس هنالك امة جعلت من كتابة لغتها فنا دقيقا مفصل القواعد ، ثـــابت الاسس ، مقرر الضوابط مثل امة العرب )) . ( راجع ابراهيم جمعه فى قصـة الكتابـة العربية )

ـ زد على ما تقدم ان الحرف اللاتيني لن يحل المشكلة حلا نهائيـا وها ان اللغة الانكليزية ، على ما يقول علماؤها لا تزال بحاجة الى سبعة عشر حرفا . فهي تستخدم اربعين صوتا وللحصول على ذلك تستعيـــن بجمع حرفين او اكثر لاخراج هذه الاصوات . ( راجع كتاب العلاقـات الاجتماعية للدكتور ضود ) .

ويقول اخيرا انصار الحرف العربي : ان هذا الحرف راق فى عيـن الغرب واحبه علماؤه ، واستطاعت اللغة العربية ، عندما كان العرب فى عزهم واوج عظمتهم ، ان تغزو الامم الغربية وان تحتل من المكان صدره . وبشيء يسير من التعديل والتيسير والابتكار تصبح الاحرف العربيـــة صالحة لتادية جميع الاصوات التي يؤديها الحرف اللاتيني .

فنرى مما تقدم ان لكلا الفريقين وجهة نظر هي جديرة بالدرس والمناقشة. يتضح لمن عمل فى حقل اللغة العربية تعلما وتعليما ان هذه اللغة بحاجة الى تسهيل ، وان بعض قواعدها ، على الاقل ، بحاجة الى تعديل . وان حرفها الخالي من الشكل يزيد فى تعقيدها وفى صعوبة قراءتها . لذلـــك يتبادر للذهن ، اول ما يتبادر ، واجب القيام بعمل حازم يذلـــل هذه الصعوبات ، او يسهلها على الاقل . ومن هنا جاءت الاقتراحات المختلفة، ومنها تبديل الحرف العربي بحرف لاتيني . وعندي ان هذا الاقتراح وجيه يذلل عقبة كاداء فى وجوه طلاب العلم فى العالم العربي ولكنه مـــن ناحية ثانية يبقى ، فى نظرنا ، اقتراحا نظريا اكثر منه عمليا ، وذلـــك لاسباب كثيرة مررنا ببعضها فيما تقدم وازيد عليها فى ختام البحث سببين آخرين همـــا :

ـ تدوين القرآن الكريم ، كتاب الملايين من ابناء اللغة العربية الضاربين فى طول الارض وعرضها ، بهذا الحرف العربي .

ـ جمال هذا الحرف وزخرفه الهندسي اللذان اكسباه روعة وجعــلا له فلسفة ان صحت الكلمة ، لازمته منذ ان عرفت هذه اللغة .

ومجال القول والبحث والمناقشة فى هذين السببين فسيح وقد نعود اليه فى مناسبة ثانية .

**موسى سليمان**

•

## ميخائيل نعيمة يتحدث عن الادب واللغة

س : ما رأيك بالشعر العربي الحديث دون وزن ولا قافيـة ؟

ـ المعروف عن كتاب المهجر الذين تألفت منهم الرابطة القلمية انهـم كانوا فى طليعة الداعين الى التجديد فى الادب سواء من حيث الاسلوب او من حيث المضمون . وانا فى كتابي (( الغربال )) كنت من اول الداعين الى التجديد فى الشعر والابتعاد عن القافية الواحدة الرتيبة مـن اول القصيدة حتى آخرها . وفى القليل من الشعر الذي نظمته فى اللغـــة العربية طبقت هذا المبدأ فنوعت فى القافية وابتعدت كثيرا عن المواضيع الشعرية المألوفة وزاوجت فى الوزن بين الكامل ومجزوئه ، وسكنت حيث لا يجوز التسكين الا انني لم اطلق يوما القافية تماما ولا الوزن ، فالشعر الذي وجد فى الاصل للغناء لا يستغنى فى نظري عن الوزن وقد يستغنى عن القافية . اما الشعر الحديث الذي يحاول الانعتاق من القافية والوزن معا ، وان يوغل الى ذلك الابهام والتلميح الى حد ان تضيع صوره ومعانيه على القارىء فلست من دعاته ، الا انني لا انكر على شعراء اليوم حقهم فى التجديد ما داموا صادقين مع انفسهم ، وما دامت القوالب الشعريـة القديمة لا تفي بحاجتهم الى التعبير عما فى نفوسهم من قلـق واضطراب يلازمان العصر الذي يعيشون فيه .

س : ما هو تاثير الادب اللبناني الحاضر على تطورات الادب العربي ؟

ـ لبنان بتكوينه الجغرافي الجميل وبموقعه بين البحر والبادية ، وفى منطقة من الارض معتدلة كان ولا يزال ينبوع الهام وحسبك ان تذكر كم تغنى به الانبياء من اقدم العصور . فلا بدع ان تنبت هذه البقعة الضيقة من الارض شعراء وكتابا لهم شأنهم فى اللغة العربية التي باتت لغتهم منذ الفتح الاسلامي والتي يحرصون عليها حرصهم على اقدس مقدساتهم ، واثرهم فى النهضة الادبية الحديثة ليس ينكره الا كل مغمض اعمى . وما من حاجة الى ذكر الاسماء . ففي تاريخ الادب العربي الحديث اسمـــاء لبنانية كثيرة كان لها ابعد الاثر فى توجيه ذلك الادب ودفعه اشواطا بعيدة الى الامام . وبيروت اليوم تكاد تكون مركز الثقل فى دنيا العرب من حيث ما ينشر فيها من الآثار الادبية للبنانيين وغير لبنانيين .

س : ما رايك فى الحركة التي ترمي الى استبدال الفصحى بالعامية ، والحرف العربي بالحرف اللاتيني ؟

ـ لست اعرف بين الامم الحديثة الحية امة تعاني من ازدواجية اللغة ما يعانيه العرب . فالفرق شاسع جدا بين العامية والفصحى فى كل قطر عربي ، وهو شاسع كذلك بين العامية فى المشرق والمغرب وفى الشمـــال والجنوب بحيث ان ابن بغداد يكاد لا يفهم ما يقوله ابن الرباط وابـن حلب لا يفهم ما يقوله ابن صنعاء . وفى مثل تلك الحالة يبدو ان الاستغناء عن الفصحى يعني ضربا من الانتحار فهو سيفقدنا الصلة الوحيدة التـي تربط ما بين الاقطار العربية قاطبة . فانا عندما اكتب العربية الفصحى اطمئن الى انني ساجد لي قراء فى سائر الاقطار العربية . ولكنني اذا حصرت نفسي فى اللغة اللبنانية العامية وجدتني ضمن قفص ضيق جدا اكاد اختنق فيه . ومن ثم فابتعادنا عن الفصحى يفصل الصلة التي بيننا وبين الذين كتبوا فيها فى اقدم العصور ، وذلك يعني خسارة فادحة . فالادب الفصيح الذي عرفناه منذ الجاهلية حتى اليوم لا يجوز ان نتخلى عنه لانه تراث مشترك بين جميع العرب ، وتراث غني .

الا ان هذا لا يعني انني لا اشعر بحاجة اللغة العربية الفصحى الـى شيء من التبسيط والتجديد ففي قواعدها الكثير مما بات فى امكاننا الاستغناء عنه ، والكثير مما يمكن تبسيطه بحيث لا ينفر منه الطالب فى المدرسة . ولعل اكبر النقص فى الفصحى اننا مكرهون ان نقرأ فيها ما ليس مكتوبـا واعني الحركات ، فلو كان لنا من يستنبط طريقة لكتابة العربية مـــع حركاتها بدون ان يثقل على الطابع والقارىء لهان الامر كثيرا ولعل دعاة الحرف اللاتيني قصدوا من ورائه التغلب على هذا النقص بحيث تكتب الكلمة كما تقرأ تماما . اما الان فالقارىء مضطر ان يجهد ذهنه كثيرا وان يستعين بالقرينة ليفهم الكلمة التي امامه كأن ترى بعينك ثلاثـة احرف فى هذا الشكل ( كتب ) فانت لا تدري اهي فعل ماضي معلوم ام مجهول او جمع كتاب او صيغة التكثير من كتب الخ .. وفى ذلك ما فيه مـــن ارهاق للقارىء والكاتب . بقي ان اقول انني اؤثر الحرف العربي عـلى الحرف اللاتيني اذا تيسر لنا ان نستنبط الطريقة الـتي ذكرت واعني كتابة الشكل مع الحرف بطريقة لا تعقيد فيها ولا ارهاق للقارىء او للكاتب.

س : ما رأيك بأدب السياسة ؟

ـ الادب عمل شامل لا يخرج من نطاقه اي جهد من الجهود البشرية . وقد ترى فى الرواية الواحدة صورة لفيلسوف وصورة لعالم وصورة لرجل دين او لرجل قانون وصورة لرجل السياسة والاقتصاد الى ما هنالك من ميادين النشاط البشري لذلك يحق للاديب الذي لا يرى من الحيـــاة

الادبية غير وجهتها السياسية ان يخصص كل نشاطه للسياسة على ان لا يكره غيره على السير فى طريقه فغيره قد لا يستسيغ السياسة ، وقد يرى فيها احط مظاهر النشاط البشري . وقد يروق له ان يعالج من الانسان نواحي لا تتغير ولا تتقلب بتقلب الساعات والظروف المكانية . فالانسان اكثر من كائن سياسي او اقتصادي او ديني أو اجتماعي انه عملاق هائل رأسه فى السماء ورجلاه على الارض ، واذا كان من الكتاب من يروق له ان يهتم برجلي العملاق دون رأسه فله الحق فى ذلك ، واذا كان بينهم من يرى ان يهتم برأس العملاق دون رجليه فمن الحيف ان يقوم من يقول له: انك تحدثنا عن اشياء كمالية هي ابعد ما تكون عن الارض ، فالكاتب الذي يهتم بالانسان الطامح الى ابعد من الارض انما يهتم بما هو ابقى واجمل فى الانسان من الشؤون الطارئة التي يعانيها فى حياته من ساعة لساعة ومن يوم ليوم .

وختم حديثه يقول : الكاتب كالزارع يزرع كلمات سود على صفحات بيض ويطلقها فى العالم ولا يدري اين ستنبت هذه الكلمة واين ستموت تلك اما انا فيبدو اني كنت الى الان محظوظا جدا من هذا القبيل فقرائي على ازدياد ومؤلفاتي يعاد طبعها باستمرار وذلك يعني انبيني وبينقرائي تجاوبا حيا لا تصنع فيه ولا تدجيل وهذا التجاوب الواسع يجعلني أشعر بمسؤوليتي تجاه نفسي وتجاه قرائي فاحاسب نفسي عن كل كلمة يخطها قلمي ولا ارسلها فى سبيلها الا بعد ان اتيقن انها نبتت ونمت نموا طبيعيا، واني لا اقصد من ورائها الا ان افتح كوة فى نفس او المس وترا حيا فى قلب ، فاذا تاتى لي ذلك شعرت بشيء من التعزية والغبطة . ويقيني ان الكلمة هي اقدس ما نملك على الاطلاق فلا يجوز ان نمرغها فى الاوحالوان نجعل منها اداة للوصول الى غايات مشبوهة او غير صالحة ، وسيأتييوم، وقد يكون بعيدا ، يفهم فيه الناس قيمة الكلمة فلا ينطقون الا بالحق ولا يبذرون فى قلوبهم وقلوب الغير الا المحبة . ( الجمهور )

●

## سليمان عواد والشعر المنثور

ما من شك ان الشعر المنثور يمر اليوم بتجربة مريرة قد تقرر مصيره نهائيا كادب له مدرسته واسسه وله بالتالي مؤيدون ومعارضون كاي لون من الوان الادب الاخرى ، ولما كانت تلك المعركة ـ معركة الشعر المنثور ـ تحتل انباؤها الصفحات الاولى فى صحف دمشق ، فقد تصيدت احد فرسان هذا اللون من الشعر اعني « سليمان عواد » صاحب : «سحر نار » و « شتاء » و « اغان بوهيمية » وتوجهت اليهبالاسئلة التالية :

س : ما رأيك بالشعر المنثور من ناحيته الفنية ؟ وما رأيك بالثورة عليه؟

ج : الشعر المنثور كان ولا يزال معروفا لدى الآداب العالمية كلها بصورة عمل فني كامل ، او بصورة مقطوعات مبثوثة هنا وهناك فى الانتاج الادبي ، واذكر على سبيل المثال ، ان الشعر المنثور قد عرف فى الادب الاميركي الحديث على يد الشاعر العبقري « والت وايتمان » فى مجموعته الشعرية الخالدة « اوراق العشب » وقد لاقى هذا الشاعر فى زمانه هجوما عنيفا على شخصه ، وعلى شعره المنثور من ادباء عصره ومن صحافييه لكن الفيلسوف الاميركي « امرسون » عرف قيمة هذا الشاعر وعرف نبوغه الفذ فى كتابه « اوراق العشب » ولم يمض كبير وقت حتى اصبح « وايتمان » معدودا من انبغ شعراء اميركا وحتى غدا اسمه رمزا لهذا النوع من الشعر ، وصارت المنتديات الادبية تتبارى فى تخليد اسم هذا الشاعر بتسمية المنتديات باسمه .

هذا ولا نذهب بعيدا اذا قلنا ان الشاعر الهندي العظيم طاغور قد نال جائزة « نوبل » على مجموعته الشعرية النثرية « قربان الاغاني » فى الوقتالذي عجز عنالوصول اليها شعراء كثيرونمن شعراء الوزنوالقافية.

وفى رأيي ان الشعر المنثور من الناحية الفنية لا يقل صعوبة عن الشعر الموزون المقفي وعن كل لون ادبي آخر ، فاذا كان الشعر العامودي يعتمد على الوزن والقافية لابراز عنصر الموسيقى فان الشعر المنثور يعتمد على الموسيقى الداخلية التي تبرزها الكلمات المشحونة بالزخم والتوتر والجرس ، وانا هنا لم اتطرق الى الناحية الموسيقية فى الشعر الا لانني وجدت ان الموسيقى هي العذر والمبرر والدافع للتهجم على الشعر المنثور الذي يدعي اعداؤه انه خال من الموسيقى .

وكما ان المقفى والموزون له توابعه فكذلك الشعر المنثور ، وكما اننا لا نستطيع ان نطلق على كل من كتب شعرا موزونا انه شاعر .. كذلك لا نقدر ان ننعت كل من كتب شعرا منثورا بأنه شاعر ..

كثيرون هم الذين يكتبون شعرا موزونا ولكن هذا الشعر يفتقر للروح والمعنى والصور والاخيلة ، وما قولك بشعر الريحاني وجبران وفؤاد سليمان والبير اديب المنثور ؟

كثير من كتاب النثر تجد فى نثرهم شعرا اكثر من شعر النظاميين ، واننا لنضع الشعر فى « براد صقيعي » اذا حددناه بالوزن والقافيةفقط.

فهناك ارواح لا تستطيع ان تسجن نفسها ضمن موازين ومقاييس وقواعد .. الموهوبون برأيي فوق كل هذه القيود على شرط ان يأتوا بانتاج شعري خلاق ..

وقبل ان يصمت الاستاذ سليمان قلت له : هل تستطيع ان تجمل لي اسباب النقمة على الشعر المنثور ؟

فاجاب : اسباب النقمة كثيرة ، منها موضوعية ومنها ذاتية بحتة .. فالموضوعية هي ان متعصبي الادب ، او لنقل متعصبي العامود السلفي الشعري ، يرون فيه بدعة تدمر الشعر الاصيل ـ بنظرهم ـ لانهم لم يدركوا الشعر الا وزنا وقافية ولان مفاهيمهم لم تتجاوز الشكل الى الجوهر ، ونحن لا نلومهم ، فلو اطلعوا على الآداب العالمية لوجدوا ان الشعر المنثور معروف لدى شعوب العالم اجمع ..

واما الذاتية ، فترجع الى كون الشعراء اهل الوزن والقافية اصبحوا يخافون من هذا النوع من الشعر الذي يضم فى حناياه بذرة استمراره واذكر على سبيل المثال ان شيخ النقاد الاستاذ مارون عبود قال فى ديوان الشاعر البير اديب « لمن ؟ » وهو من الشعر المنثور ما معناه ان هذا الديوان سيطعم بحيويته وعنصره الطيب الشعر العربي . واظن ان هذا التهجم لون من الدعاية قوي . ينفع الشعر المنثور ولا يضره . ( الدبور )

●

## مجلة الاديب

وكان ان صدرت فى هذه الاثناء مجلة « الاديب » لصاحبها البير اديب عام ١٩٤٢ ، فسرعان ما احتلت مكانها فى زعامة الحركة الادبية فى لبنان ، وقد التف حولها كبار ادباء لبنان وشعرائه امثال عبد الله العلايلي ، عمر فاخوري ، امين نخلة ، الياس خليل زخريا ، نقولا فياض ، هذا فضلا عن كبار الادباء والشعراء فى العالم العربي ، وقد امتازت « الاديب » بالشمول وسعة الافق ، واتساع الانتشار حتى ليقال انها من اوسع المجلات انتشارا فى العالم العربي ، من حيث بلوغها ابعد الاماكن التي توجد فيها جاليات عربية . كما سايرت « الاديب » اتجاهات الادب الحديثة من رمزية ورومانتيكية وواقعية ، وساعدت على ابراز المواهب الجديدة بين الادباء الشباب فى العالم العربي ، حتى ان كثيرين من ادباء الجيل الحاضر فى لبنان وغيره من الاقطار العربية مدينون بشهرتهم ومكانتهم الادبية الى « الاديب » التي تعهدت مواهبهم فشجعتها ونمتها ، وما تزال « الاديب » تصدر الى اليوم بهمة صاحبها التي لا تعرف الكلل رغم ما صادفتها من صعوبات مادية عديدة . ( عن كتاب « الصحافة العربية نشأتها وتطورها » تاليف اديب مروة، الذي ظهر حديثا فيبيروت )




## فبراير ١٩٦١

١٧ ـ استقال تسعة وزراء من الحكومة البلجيكية بسبب خلاف حول كيفية نشرقوانين برنامج التقشف .

١٨ ـ اعلنت سيلان انها الغت اعتماد مبعوثها الى اسرائيل

ـ ارسل الاتحاد السوفياتي مذكرة الىالمانيا الغربية تشدد على ضرورة عقد معاهدة صلح مع المانيا .

١٩ ـ اعترفت الصين الشعبية بحكومة ستانلي فيل التي يرئسها انطوان جيزينغا

ـ وصلمحمد مصمودي وزير الانباءالتونسي الى باريس لترتيب عقد اجتماع ديغول وابو رقيبة

٢٠ ـ اعلنت فنزويلا انه تم احباط محاولة انقلاب عسكري ضد الرئيس رومولو بيتانكور

ـ رفض الملك بودوان استقالة الوزراءولكنه وقع مرسوما بحل البرلمان البلجيكي

ـ وصل عبد الناصر الى اللاذقية قاصدا دمشق لحضور احتفالات الذكرى الثالثة لقيام الجمهورية العربية المتحدة .

ـ بعث همرشولد باحتجاج شديد الى كاسافوبو على ابعاد السياسيين الموالينللومومبا وقتلهم .

٢١ ـ اقر مجلس الامن مشروع قرار قدمته الجمهوريةالعربية وسيلان وليبيريا يعطيالقوات الدولية السلطة لاستعمال القوة فى منع حرب اهلية فى الكونغو . ويقضي بسحب جميع العسكريين الاجانب . والعمل لتامين انعقاد البرلمان . وشجب اعمال الاعتقال وقتلالزعماء واجراء تحقيق لتقرير المسؤولين عن هذه الجرائم .

ـ اعلن تشومبي التعبئة العامة فى كاتانغا لمنع الامم المتحدة من تنفيذ قرار مجلس الامن

ـ غادر كمبودية الامير سوفانا فوما رئيس الوزارة الحيادية السابقة فى لاوس قاصدا كسيانغ كوانغ فى لاوس . وفى وشنطن صرح السفير السوفيانيبعد اجتماعه بوزيرالخارجية راسك انه اجرى معه محادثات اولية لايجاد حل سلمي للازمة اللاوسية .

ـ اعلن مشروعبريطاني جديد يقضي باجراء تغييرات فى دستور روديسيا الشمالية يضمن انتخاب ١٥ افريقيا على الاقل فى المجلس التشريعي حيث لا يوجد اي عضو افريقي

٢٢ ـ شنت قوات جيش التحرير الجزائرية هجماتواسعة النطاق علىخط الدفاع المكهرب الذي اقامته القوات الفرنسية على الحدود الجزائرية المغربية .

ـ استقال خمسة وزراء من المجلسالتنفيذي لروديسيا الشمالية . استنفرت القوات تحسبا للطوارىء . رفض روي ويلنسكي رئيس وزراء اتحاد روديسيا المقترحات الدستوريةالبريطانية

ـ وصل اديناور الى لندن لاجراء محادثات مع ماكميلان تستهدف تحقيق الانسجام فى سياسة الدول الغربية

ـ اعلن تشومبي ان حكومته وقيادة الامم المتحدة اتفقتا على تجميد جميع تحركاتالقوات اعدم انصار لومومباه١ زعيما سياسيا وعسكريا منهم عشرة من اعضاء البرلمان .

٢٣ ـ عين الجنرال فريدريك فويرتشرئيس اركان قوات المانيا الفدرالية مكان الجنرال ادولف هيزنفر الذي سيعين رئيسا للجنة العسكرية الدائمة التابعة لحلف الاطلسي

ـ انتهت محادثات اديناور مع ماكميلان وصرح اديناور لدى وصوله الى بون بان المحادثات كانت مرضية ومفيدة للغاية

٢٤ ـ اعلن سيندوي مفوض كاتانغا فيحكومة لومومبا سابقا ، انشاء دولة جديدة فى كاتانغا مناوئة للشيوعية وتؤيد حكومة رئيس وزراء الكونغو جوزف ايليو .

ـ احتلت قوة موالية لجماعة لومومبا مدينة لولو ابورغ عاصمة شمال كاساي

٢٥ ـ اعلنت بلجيكا انها قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع الجمهورية العربية بسبب اعمالالعنف التي وقعت ضد السفارةالبلجيكية فى القاهرة احتجاجا على مصرع لومومبا

ـ وجهت حكومة كاسافوبو انذارا الى الامم المتحدة فى الكونغو للتدخل فورا واخراجالقوة الموالية للومومبا من مدينة لولو ابورغ

٢٦ ـ توفي محمد الخامس ملك المغرب اثر عملية جراحية . وقد نودي بالامير الحسن ولي العهد ملكا على المغرب خلفا لوالده تحت اسم الحسن الثاني

ـ اعلن تشومبي فى مذكرة الى همرشولد انه يرغب فى التعاون مع الامم المتحدة فيوضع حد للازمة الراهنة فى كاتانغا

٢٧ ـ وصل بو رقيبة الى باريس وبدأ مع ديغول محادثاتهما وصدر بلاغ مشترك جاء : وتباحث الرئيسان مطولا فى القضية الجزائرية على ضوء التطورات الاخيرة ومستقبل شمال افريقيا واتفقا فى ملاحظة الاحتمالات والامال القائمة لتطور سريع ايجابي .

ـ القوات الموالية للومومبا الزاحفة من ستانليفيل وصلت الىحدود مقاطعة ليوبولدفيل وتأزم الموقف فى الكونغو بسبب حوادثالاعتداء على القوات الدولية . وقد انذرت القيادة سلطات ليوبولدفيل باستعمال القوة . واعلن كاسافوبو التعبئة العسكرية العامة ردا على هذا الانذار .

٢٨ ـ صرحبو رقيبة قبل مغادرته باريسالى الرباط لتشييع جنازة الملك محمد الخامس ، انه متفائل بعد محادثاته مع ديغول بشأن قضية الجزائر

ـ اجتمع فى الرباط بو رقيبة وفرحاتعباس وتباحثا بنتيجة محادثات الرئيس التونسي مع رئيس جمهورية فرنسا . وقد اعلن الملكالحسن الثاني انه يؤيد بو رقيبة تأييدا كاملا فيجهوده لحل المشكلة الجزائرية

ـ وصل المارشال تيتو الى اكرا فى زيارة رسمية لغانا مفتتحا بها جولة فى افريقيا تستغرق شهرين

ـ انذر همرشولد كاسافوبو بان الاممالمتحدة لن تسمح بان تقف المعارضة السياسية في الكونغو حجر عثرة امام مساعيها السلمية . وقد اذاع همرشولد بان بلجيكا فى ردها على طلبه وعدت بدعوة جنودها المرتزقة للعودة الى بلجيكا

## مارس ١٩٦١

١ ـ اعلنت الحكومة الفرنسية استعدادها لمفاوضة المناضلين الجزائريين حول تقريرالمصير فى الجزائر دون شروط مسبقة .

ـ قطعت السلفادور علاقاتها الدبلوماسيةمع كوبا بسبب الحملات التي تشنها حكومة كوبا على مجلس الثورة الحاكم فى السلفادور

٢ ـ عاد رئيس الجمهورية التونسية الحبيب بو رقيبة الى زوريخ للاستشفاء . وصدر في الرباط بلاغ مشترك عن محادثات بو رقيبة والحسن وعباس

ـ تجددت حوادث العنف فى مدينة وهران فى الجزائر حيث وقعت اضطرابات واشتباكات بين الجزائريين والمستوطنين

ـ قتلت قوات الجنرال موبوتو ٤٤ مدنيا فى معارك جرت فى شوارع لولوابورغ .

٣ ـ اتهمت امريكا الاتحاد السوفياتيبعرقلة المحادثات السلمية الجارية بشأن لاوس وذلك بتزويد الثوار الموالين للشيوعية بالاسلحة باستمرار

ـ اعلن انطوان اوماري احد الزعماءفىالقطاع الغربي من اقليم كيفو الذي يسيطر عليهانصار

لومومبا ، انشاء دولة جديدة مستقلة هي دولة مانييما .

ـ صدر قانون فى دمشق بتعريب جميع مصارف الاقليم السوري اسوة بما حدث في الاقليم المصري

٤ ـ اعلن وزير الانباء المغربي فى الرباط ان الملك الحسن سيتولى منصب رئاسةالوزراء الى حين اشعار اخر

ـ وقعت روسيا وباكستان اتفاقا تقدمروسيا بموجبه قرضا لباكستان يبلغ ٣٠ مليوندولار .

ـ وقعت معارك دامية بين القواتالسودانية الدولية والقوات الكنغولية .

ـ ابرمت روسيا واندونيسيا اتفاقا تشتري اندونيسيا بموجبه اسلحة سوفياتية

٥ ـ سيتم الجلاء عما تبقى من قواعدحربية فرنسية في المغرب قبل شهر اكتوبر المقبل اي قبل سنتين من الموعد المقرر اصلا وذلكبموجب اتفاق اعلن بين البلدين .

٦ ـ بدأ فى تاناناريف عاصمة جزيرةمدغشكر مؤتمر زعماء الكونغو لمحاولة الوصول اليتسوية وطنية . وقررت الحكومة السودانية سحب قواتها من الكونغو نظرا للاهمال الذي تعرضت له فى مناطق عرفت مقدما بتحديها لقرارات الامم المتحدة

ـ عادت الملكة اليزابيت وفرينهادوق ادنبره الى لندن بعد جولتهما فى الهند وباكستان ونيبال وايران

٧ ـ غادر عبد الناصر دمشق الى القاهرة. واعلن فى دمشق ان الرئيس تلقى رسالة من الملك حسين

ـ انتقد رئيسا حكومتي الهند وكنداسياسة التمييز العنصري التي تنتهجها جنوب افريقيا، وذلك لدى وصولهما الى لندن لحضور مؤتمر رؤساء حكومات الكومنولث

ـ عدل انطوان جيزينغا عن حضور مؤتمر المائدة المستديرة الذي يعقده زعماء الكونغو . تحاصر الان قوة كبيرة من انصار لومومبا بلدة بنديرا فى شمال كاتانغا

٨ ـ اجتمع فى البيت الابيض الدكتـــور نكروما بجون كنيدي لاجراء محادثـات حول القضايا العالمية وقضية الكونغو

ـ اصيبت القوات الحكومية فى لاوسبخسائر فادحة فى معركة مع القوات اليسارية وتراجعت عن « سالافوكون » التي يؤدي سقوطها الى قطع الاتصالات بين فيانتيان والعاصمة الملكية.

ـ القى نكروما خطابافى الدورة التياستأنفتها الجمعية العامة للامم المتحدة اعلن فيه انقضية الكونغو يجب ان تسوى قبل اية قضية اخرى وطالب بانشاء قيادة افريقية دولية فى الكونغو واجراء انتخابات باشراف الامم المتحدة

٩ ـ اعلن رئيس حكومة ليوبولدفيل جوزف ايليو بعد اجتماع لزعماء الكونغو فى تاناناريف انه قد تم الاتفاق على خلق دول جديدة في الكونغو

ـ اتفق رؤساء حكومات الكومنولث فـي مؤتمرهم بلندنعلى وجوباشتراك الصينالشعبية فى اية محادثات بين الشرق والغرب حول نزع السـلاح

١٠ ـ اعترف زعماء الكونغو فى مؤتمرهـم باستمرار دولة الكونغو كوحدة سياسية ذات نظام كونفدرالي يوضع فى ما بعد . وارسـل هؤلاء الزعماء برقية الى نكروما رئيسجمهورية غانا يستنكرون تدخله فى شؤون الكونغو .

ـ تم الاتفاق بين العناصر اليمينيةوالحيادية فى لاوس على ايجاد صيغة اشمل من السابق لاعادة السلم الى بلادهم وتاليف حكومةحيادية مؤقتة للاشراف على الانتخابات واعتبار الامير سوفانا فوما الرجل الوحيد الذي يستطيع اجراء محادثات مع منظمة باتيت لاو الموالية للشيوعية

١١ ـ انذر رئيسا دولتين افريقيتين هما غانا وتانجانيقا انهما يحتمل ان ينفصلا عـن الكومنولث اذا بقي جنوب افريقيا عضوا فيه

ـ استقال جعفر امامي رئيس الحكومـة الايرانية بعد الانتخابات النيابية الجديدة

ـ اعلنت البرتغال وقوع اضطرابات جديدة فى مستعمرة انغولا بافريقيا الغربيـة والقت التبعة على مثيري الفتن

ـ اقرت اللجنة الدولية لحقوق الانسـان « مشروع قرار يقترح انشاء عام التحرر من الاجحاف والتمييز العنصري » .

١٢ ـ دعا كنيدي دول امريكا اللاتينية الى التحالف مع الولايات المتحدة فى جعل العشر سنوات المقبلة حقبة تاريخية تتميز بالتقدم الديمقراطي

ـ عاد زعماء الكونغو من مؤتمر تاناناريف وقد قرروا بذل الجهد لاقناع حكومة ستانلي فيل الموالية للومومبا بالانضمام الى الاتحـاد الكونفدرالي . هذا وقد وضعت لجنةالتوفيق الدولية الخاصة بالكونغو تقريرا تدعو فيه الى مؤتمر جديد لزعماء الكونغو لا يكون له ايصلة بمؤتمر تاناناريف .

ـ عاد بو رقيبة الى تونس وقد استقبـل استقبالا شعبيا ضخما

١٤ ـ وافق مؤتمر الكومنولث على عضوية قبرص فيه

ـ تلقى رؤساء الدول الافريقية المستقلـة دعوات لحضور مؤتمر يعقدفى منروفيا بليبيريا فى ٨ ابريل المقبل لبحث قضية الكونغو .

ـ الف جعفر امامي الوزارة الايرانيـة الجديدة

١٥ ـ قررت جنوب افريقيا الانسحاب من الكومنولث بدل التخفيف من حدة سياستها العنصرية .

ـ أصدرت الحكومة الفرنسية بيانا أكدت فيه نية فرنسا فى التفاوض رسميا مع وفد جزائري واجراء محادثات تتعلق بشروطتقرير المصير للجزائر

ـ صرح جوزف ايليو بان الجنرال فكتور لوندولا قائد القوات الموالية للومومبا فى الاقليم الشرقي اقترح على كاسافوبو اجراء مفاوضات لتسوية مشكلة الكونغو

١٦ ـ ابلغت السعودية الولايات المتحدة عدم رغبتها بتجديد الاتفاق المتعلـق بقاعدة الظهران الجوية .

ـ اتخذ رؤساء وزراء الكومنولـث قرارا بقبول سيراليون عضوا فيه . وسيراليونكانت مستعمرة بريطانية وستنال استقلالها فى ٢٧ ابريل المقبل .

ـ رفض مجلس الامن تشكيل لجنة للتحقيق بالاتهامات الموجهة الى البرتغال بخرق حقوق الانسان فى مقاطعة انغولا البرتغالية فى افريقيا

ـ بدأت طلائع القوات الهندية تصل الى الكونغو لتعزيز القوات الدولية

١٧ ـ اعلن المارشال محمد ايوب خان في لندن ان الهند وباكستان اتفقتا على انشاء هيئة لحل خلافاتهما وخاصة مشكلة كشمير

ـ وافقت الحكومة الجزائرية المؤقتة على اجراء مفاوضات رسمية مع فرنسا

١٨ ـ اعلنت الاممالمتحدة قيام حملةارهابية جديدة ضد البيض فى انحاء مقاطعة كيفو ، رجال « الكرتيليت » يقودون الحملة وقبيلة بالوبا تقرب الطيارين الدوليين

١٩ ـ تباحث وزير الخارجية الامريكية دين راسك ووزير الخارجية السوفياتية اندريه غروميكو فى واشنطن وصدر بلاغ مشترك جاء فيه انهما بحثا بصراحة عدة مواضيـع ذات مصلحة مشتركة بين البلدين .

٢٠ ـ اقترح دين راسك انشاء قوة دولية دائمة جاهزة للاستخدام بسرعة فى مناطـق الازمات ، مثل الكونغو .

ـ وقعت اشتباكات بين البيض والسود فى جوهانسبورغ عنـد وصـــول رئيس وزراء جنوب افريقيا عائدا من مؤتمر الكومنولث . واعتقل البوليس عددا من الزعماء السياسيين غـير البيض .

ـ ارسل جيزنغا برقية الى كاسافوبو كرر فيها انه يعتبر نفسه رئيس الوزارة الشرعي فى الكونغو واعلنرفضه لمقررات مؤتمر تاناناريف

مطبعة الغريب
بيروت ، شارع هوفلان ، ت ٢٤٦١٨٥